



الأزهر الشريف
قطاع المعاهد الأزهرية

تيسير تفسير النسفي

مذكراتي
جزء تبارك
Mozarty.com

للصف الثاني الثانوي

لجنة إعداد وتطوير المناهج بالأزهر الشريف

١٤٤٢ هـ
٢٠٢٠ - ٢٠٢١ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد؛

فهذا كتاب «تيسير تفسير النسفي لجزء تبارك» المقرر على الصف الثاني الثانوي، توخينا فيه تسهيل العبارة، وتوضيحها بما يتناسب وعقول أبنائنا الطلاب، وراعينا فيه الآتي:

١- تقسيم السورة إلى موضوعات رئيسة ووضع عنوان لكل فقرة.

٢- حذف القراءات غير المتواترة، والتي لا يتعلق بها المعنى.

٣- عزو الآيات المستشهد بها أثناء التفسير إلى سورها.

٤- تخريج الأحاديث وأسباب النزول والحكم عليها.

٥- استخراج الأسرار البلاغية من كل سورة.

٦- ذكر الدروس المستفادة من السورة.

٧- إضافة أسئلة في نهاية كل سورة.

والله نسال أن ينفع بعملنا هذا الطلاب، وأن يرزقنا عليه جزيلا الثواب، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه وسلم.

لجنة تطوير المناهج بالأزهر الشريف

أهداف الدراسة

بنهاية دراسة مادة التفسير يُتوقع من الطالب أن:

- ١- يعرف مقاصد سور جزء تبارك، وما اشتملت عليه من موضوعات.
- ٢- يعرف معاني المفردات الغامضة.
- ٣- يقف على التفسير التحليلي للآيات.
- ٤- يقف على أوجه الإعراب المُعيّنة على استيعاب المعاني.
- ٥- أن يدرك الطالب جوانب العظمة والهداية والإعجاز للقرآن من خلال المقرر.
- ٦- يتذوق الأسرار البلاغية للقرآن الكريم من خلال سور جزء تبارك.
- ٧- يستنبط الدروس المستفادة من السور.

مذكرتي
Mozkrty.com

سورة الملك

مكية وهي ثلاثون آية

﴿ تَبْرَكَ الَّذِي يَبْدِئُ الْمَلَأَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَوَةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾

وتسمى الواقعة والمنجية؛ لأنها تقي قارئها وتنجيه من عذاب القبر.

مظاهر قدرة الله تعالى:

﴿ تَبْرَكَ ﴾ تعالی وتعاضم عن صفات المخلوقين، وكثر خيره ودام ﴿ الَّذِي يَبْدِئُ الْمَلَأَ ﴾ أي: بتصرفه الملك والاستيلاء على كل موجود، وهو مالك الملك يؤتیه مَنْ يَشَاءُ وينزعه ممن يشاء ﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ من المقدورات ﴿ قَادِرٌ ﴾ قادر على الإيجاد والإمداد، والإشقاء والإسعاد.

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ ﴾ الاسم الموصول خبر مبتدأ محذوف تقديره: هو، أو بدل من الاسم الموصول الذي قبله ﴿ وَالْحَيَوَةَ ﴾ أي: تعلق الروح بالبدن واتصاله به، والموت ضده، والمعنى: خلق موتكم وحياتكم أيها المكلفون ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ ليمتحنكم بأمره ونهيه فيما بين الموت والحياة، فيظهر منكم ما علم أنه يكون، فيجازيكم على عملكم لا على علمه بكم ﴿ أَيُّكُمْ ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ أي: أخلصه وأصوبه، فالخالص: أن يكون لوجه الله، والصواب: أن يكون على سنة رسول الله ﷺ.

والمراد: أنه أعطاكم الحياة التي تقدرون بها على العمل، وكتب عليكم الموت الذي هو داعيكم إلى اختيار العمل الحسن على القبيح.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ ٢ ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ ٣ ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ ٤

وقدّم الموت على الحياة؛ لأنّ أقوى دواعٍ للناس إلى العمل أن يضع الإنسان موته بين عينيه.

ولمّا قدّم الموت الذي هو أثر صفة القهر على الحياة التي هي أثر اللطف، قدّم صفة القهر على صفة اللطف بقوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ أي: الغالب الذي لا يعجزه من أساء العمل ﴿الْغَفُورُ﴾ الكثير المغفرة والستر لذنوب عباده إذا تابوا.

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ مطابقة بعضها فوق بعض، من طابق النعل: إذا خصفها طبقاً على طبق، والخطاب في قوله تعالى: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ﴾ للرسول ﷺ، أو لكل مخاطب ﴿مِنْ تَفَوُّتٍ﴾ أي: من اختلاف واضطراب، وحقيقة التفاوت: عدم التناسب، كأنّ بعض الشيء يفوت بعضاً ولا يلائمه، وهذه الجملة صفة لـ ﴿طِبَاقًا﴾، وأصلها: ما ترى فيهنّ من تفاوت. ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ رُدّه إلى السماء ﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ جمع فطر، من شقوق، وهو الشَّقّ.

﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ أي: كرّر النظر مرتين مع الأولى، وقيل: سوى الأولى، فتكون ثلاث مرات، وقيل: لم يرد الاقتصار على مرتين، بل أراد به التكرير بكثرة، أي: كرّر نظرك ودقّقه هل ترى خللاً أو عيباً؟ وجواب الأمر: ﴿يَنْقَلِبْ﴾ أي يرجع ﴿إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ ذليلاً، أو بعيداً مما تريد، وهو حال من البصر ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ كليلاً منقطعاً عن أن يرى عيباً أو خللاً.

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾
 ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَسُ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾

جانب من أهمية الكواكب:

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ القريبة منكم ﴿بِمَصَابِيحَ﴾ بكواكب مضيئة
 كإضاءة الصبح.

﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ﴾ أي: لأعدائكم الذين يُخرجونكم من النور إلى
 الظلمات. قال قتادة: «خلق الله النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجومًا للشياطين،
 وعلامات يُهتدى بها؛ فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ، فَقَدْ تَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ»،
 والرجوم: جمع رجم، وهو مصدر سُمِّيَ به ما يرحم به، ومعنى كونها رجومًا
 للشياطين: أن يفصل عنها شهاب من نار فيقتل الجنِّي ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾ للشياطين
 ﴿عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ في الآخرة بعد الإحراق بالشهب في الدنيا.

مصير الكفار:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ أي: ولكلِّ مَنْ كفر بالله من الشياطين وغيرهم
 ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَسُ الْمَصِيرُ﴾ أي: ويس المرجع جهنم.
 ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا﴾ طُرِحُوا فِي جَهَنَّمَ كَمَا يُطْرَحُ الْحَطْبُ فِي النَّارِ الْعَظِيمَةِ
 ﴿سَمِعُوا لَهَا﴾ لجهنم ﴿شَهيقًا﴾ صوتًا منكرًا كصوت الحمير، شَبَّهَ حَسِيْسَهَا
 المنكر الفظيع بالشهيق ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ تغلي بهم.

﴿ تَكَادُ تَمَيَّرُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ (٨) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَأَعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحِّقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

﴿ تَكَادُ تَمَيَّرُ ﴾ أي: تتميَّر، يعني: تتقطع وتتفرق ﴿ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ على الكفار، فجعلت كالمغتظة عليهم، استعارة لشدة غليانها بهم ﴿ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ ﴾ جماعة من الكفار ﴿ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُهَا ﴾ مالك وأعوانه من الزبانية؛ توبيخًا لهم ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ رسول يُخَوِّفُكُمْ من هذا العذاب ﴿ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ ﴾ اعتراف منهم بعدل الله، وإقرار ببعث الرسل ﴿ فَكَذَّبْنَا ﴾ أي: فكذبناهم ﴿ وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ ممَّا تقولون مِن وَعْدٍ وَوَعِيدٍ وغير ذلك ﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴾ أي: قال الكفار للرسول: ما أنتم إلا في خطأ عظيم.

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ ﴾ الإنذار سماع طالب الحق ﴿ أَوْ نَعْقِلُ ﴾ أي: نعقله عقل متأمل ﴿ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ في جملة أهل النار ﴿ فَأَعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ﴾ بكفرهم في تكذيبهم الرسل ﴿ فَسُحِّقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ ﴿ فَسُحِّقًا ﴾ منصوب على أنه مصدر وقع موقع الدعاء، أي: فبُعدًا لهم عن رحمة الله وكرامته، اعترفوا، أو جحدوا، فإنَّ ذلك لا ينفعهم.

وعد ووعيد

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ ﴾ قبل معاينة العذاب ﴿ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ﴾ للذنوب ﴿ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ أي: الجنة.

﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ﴾ إِنَّهُ، عَلَيْهِ يَدَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ
 الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ
 النُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾

﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ﴾ (١) معناه: لَيْسَتْوَ عِنْدَكُمْ إِسْرَارَكُمْ وَجَهْرَكُمْ فِي
 عِلْمِ اللَّهِ بِنَهَا، ثُمَّ عَلَّلَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ، عَلَيْهِ يَدَاتِ الصُّدُورِ﴾ أَي: بِضَمَائِهَا قَبْلَ أَنْ
 تَتَرَجَّمِ الْأَلْسِنَةُ عَنْهَا، فَكَيْفَ لَا يَعْلَمُ مَا تُكَلِّمُ بِهِ!.

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ ﴿مَنْ﴾ اسم موصول في محل رفع على أَنَّهُ فاعل ﴿يَعْلَمُ﴾
 ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ اللطيف: العالم بدقائق الأشياء، والخبير: العالم بحقائق
 الأشياء.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ لينة سهلة مُذَلَّلَةٌ لَا تَمْنَعُ الْمَشْيَ فِيهَا
 ﴿فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ جوانبها أو جبالها أو طرقها ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ أَي: مِنْ
 رِزْقِ اللَّهِ فِيهَا ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ أَي: وَإِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ، فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ
 شُكْرٍ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ.

﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ أَي: مَنْ مَلَكَوْتَهُ فِي السَّمَاءِ؛ لِأَنَّهَا مَسْكَنٌ مَلَائِكَتِهِ،
 وَمِنْهَا تَنْزَلُ كُتُبُهُ وَأُؤَامِرُهُ وَنُؤَاهِيهِ، أَوْ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ التَّشْبِيهَ، وَأَنَّ فِي
 السَّمَاءِ، وَأَنَّ الرَّحْمَةَ وَالْعَذَابَ يَنْزِلَانِ مِنْهُ، فَقِيلَ لَهُمْ عَلَى حَسَبِ اعْتِقَادِهِمْ: أَمِنْتُمْ
 مَنْ تَزْعُمُونَ أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مُتَعَالٍ عَنِ الْمَكَانِ (٢) ﴿أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ﴾ كَمَا
 خَسَفَ بِقَارُونَ ﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ تَضْطَرِبُ وَتَتَحَرَّكُ.

(١) رجع بالكلام مرة أخرى إلى الكفار ليبين لنا جانبًا من الوعيد الذي توعددهم وهددهم به.

(٢) والآية من المتشابه والأولى أن يقال هو سبحانه في السماء على المعنى الذي أَرَادَهُ مَعَ كَمَالِ التَّنْزِيهِ
 لَهُ جَلَّ شَأْنُهُ.

﴿ أَمْ آمَنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَقَتِ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمْ نَ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِّنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ ﴾

﴿ أَمْ آمَنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾ حجارة، و ﴿ أَنْ يَخْسِفَ ﴾، و ﴿ أَنْ يُرْسِلَ ﴾ بدل اشتغال من «مَنْ». ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ أي: إذا رأيتم المنذر به علمتم كيف إنذاري حين لا ينفعكم العلم.

﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ من قبل قومك ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ أي: إنكارى عليهم إذا أهلكتهم، والاستفهام يفيد التهويل وشدة الهلاك.

ثم نبه على قدرته على الخسف، وإرسال الحاصب بقوله تعالى: ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ ﴾ جمع طائر ﴿ فَوْقَهُمْ ﴾ في الهواء ﴿ صَفَقَتِ ﴾ باسقاط أجنحتهن في الجو عند طيرانهن ﴿ وَيَقْبِضْنَ ﴾ أي: ويضممن أجنحتهن إذا ضربن بها جنوبهن. ﴿ وَيَقْبِضْنَ ﴾ معطوف على اسم الفاعل؛ حملاً على المعنى: أي يصففن ويقبضن، أو صافات وقابضات ﴿ مَا يُمَسِّكُهُنَّ ﴾ عن الوقوع عند القبض والبسط ﴿ إِلَّا الرَّحْمَنُ ﴾ بقدرته، و ﴿ مَا يُمَسِّكُهُنَّ ﴾ مستأنف، ويجوز أن يكون حالاً من الضمير في ﴿ وَيَقْبِضْنَ ﴾، ﴿ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ يعلم كيف يخلق، وكيف يدبر العجائب.

بعض مظاهر نعم الله على خلقه

﴿ أَمْ نَ ﴾ مبتدأ خبره ﴿ هَذَا ﴾، و ﴿ الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ ﴾ بدل من هذا، ومحل ﴿ يَنْصُرُكُمْ مِّنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ﴾ رفع على أنه نعت لـ ﴿ جُنْدٌ ﴾، والمعنى: مَنْ المشار إليه بالنصر غير الله تعالى ﴿ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴾ أي: ما هم إلا في غرور.

﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ، بَلْ لَجُوا فِي عَتَوٍ وَنُفُورٍ ﴾ (٢١) ﴿ أَفَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٢٢) ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (٢٣) ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٢٤)

﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ﴾ أم مَنْ يُشار إليه ويُقال: هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه، وهذا على التقدير، بأن (أم) متصلة و(مَنْ) استفهامية في الآية السابقة وأما في هذه الآية فإن (أم) منقطعة، و(مَنْ) موصولة ويجوز أن يكون إشارة إلى جميع الأوثان؛ لاعتقادهم أنهم يُحفظون من النوائب ويُرزقون بركة آلهتهم، فكأنهم الجند والناصر والرازق.

ثم أضرب عنهم فقال: ﴿ بَلْ لَجُوا ﴾ تبادوا ﴿ فِي عَتَوٍ ﴾ في استكبار عن الحق ﴿ وَنُفُورٍ ﴾ إعراض وتباعد عنه.

ثم ضرب مثلاً للكافرين والمؤمنين فقال: ﴿ أَفَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ ﴾ أي: ساقطاً على وجهه يعثر كل ساعة ويمشي متعسفاً، ﴿ أَهْدَىٰ ﴾ أرشد وخير ﴿ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا ﴾ معتدلاً منتصب القامة ﴿ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ على طريق مستوٍ، وخبّر «مَنْ» محذوف؛ لدلالة ﴿ أَهْدَىٰ ﴾ عليه^(١).

﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ ﴾ خلقكم ابتداءً ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾ خصها؛ لأنها أدوات العلم ﴿ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ هذه النعم؛ لأنكم تشركون بالله، ولا تُخلصون له العبادة، والمعنى: تشكرون شكراً قليلاً، وقيل: القلة عبارة عن العدم، أي: لا تشكرون أصلاً.

﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ ﴾ خلقكم^(٢) ﴿ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ للحساب والجزاء.

(١) المراد خبر (مَنْ) الثانية في قوله (أم من)، ويجوز أن يكون (مَنْ) الثانية من عطف المفرد على المفرد كما في قولك زيد أفضل أم عمرو.
(٢) أي: خلقكم خلقاً يتكاثر.

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢٥) قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ

﴿ ٢٦ ﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّتَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿ ٢٧ ﴾

﴿ ٢٨ ﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ

إنكار الكافرين للبعث:

﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ أي: يقول الكافرون للمؤمنين استهزاء ﴿ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ ﴾ الذي تعدوننا به، يعني العذاب ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ في وقوعه فأعلمونا زمانه.

﴿ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ ﴾ أي: علم وقت العذاب ﴿ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ ﴾ مخوف ﴿ مُّبِينٌ ﴾ أبين لكم الشرائع.

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ ﴾ أي: العذاب الموعود ﴿ زُلْفَةً ﴾ قريباً منهم^(١)، وهي منصوبة على الحال ﴿ سَيِّتَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي: ساءت رؤية الوعد ووجوههم بأن عَظَمَتِهَا الكآبة.

﴿ وَقِيلَ هَذَا الَّذِي ﴾ القائلون: الزبانية ﴿ كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴾ تفتعلون، من الدعاء، أي: تسألون تعجيله وتقولون: ائتنا بما تعدنا، أو هو من الدعوى أي: كنتم بسببه تدعون أنكم لا تبعثون.

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ ﴾ أي: أماتني الله ﴿ وَمَنْ مَعِيَ ﴾ من أصحابي ﴿ أَوْ رَحِمَنَا ﴾ أي: أخر في آجالنا ﴿ فَمَنْ يُجِيرُ ﴾ ينجي ﴿ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ مؤلم.

(١) أي عند الاحتضار، أو رأوه بمعنى يروه، والمراد: يوم القيامة وعبر بالماضي لتحقق الوقوع.

﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ۚ أَمَنَّا بِهِ ۚ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٢٩) ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾ (٣٠)

﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ﴾ أي: الذي أدعوكم إليه الرحمن ﴿ ۚ أَمَنَّا بِهِ ۚ ﴾ صدقنا به، ولم نكفر به كما كفرتم ﴿ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ فوَضنا إليه أمورنا ﴿ فَسْتَعْلَمُونَ ﴾ إذا نزل بكم العذاب ﴿ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: في خطأ وبعد عن الحق نحن أم أنتم.

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ غائراً اذا هباً في الأرض ﴿ فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾ أي: بِمَاءٍ جَارٍ يصل إليه مَنْ أَراده.

من الأسرار البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿ بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ استعارة تمثيلية، أو في لفظ «اليد» مجاز عن الإحاطة والاستيلاء، ويكون قوله (الملك) على حقيقته.
- في قوله تعالى: ﴿ يَسْبُلُونَهُمْ ﴾ استعارة تمثيلية، شبه معاملة الله لعباده بالابتلاء والاختبار.
- في قوله تعالى: ﴿ الْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ ﴾ طباق.
- الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ استفهام إنكاري للتقرير والتوبيخ زيادة لهم في العذاب.
- في قوله تعالى: ﴿ سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا ﴾ استعارة مكنية، شبه شدة استعارها وحسيسها بصوت الحمار.
- في قوله تعالى: ﴿ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ استعارة مكنية، شبه جهنم في

شدة غليانها ولهبها، بإنسان شديد الغيظ والحنق على عدوه مبالغة في إيصال الضرر إليه، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو الغيظ الشديد.

- في قوله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا﴾ مقابلة.

- في قوله تعالى: ﴿صَفَلَتْ وَيَقْبِضُنَّ﴾ بينهما طباق؛ لأن المعنى صفات وقابضات.

- في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ﴾ استعارة تمثيلية، مثل المؤمن بمن يمشي سويًّا على صراط مستقيم، ومثل الكافر بمن يمشي مُكِبًّا على وجهه إلى طريق جهنم.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١- الله مالك السموات والأرض في الدنيا والآخرة، وقادر على كل شيء من إنعام وانتقام.

٢- الله هو الذي أوجد الموت وأوجد الحياة؛ ليعامل العباد معاملة المختبر، ويقيم الدليل عليهم أيهم أطوع له وأخلص.

٣- الآيات الكونية دليل على كمال قدرة الله وتمام علمه.

٤- مصير الكافرين بالله، المكذبين رسله، عذاب جهنم في الآخرة، وبئس المرجع والمنقلب.

٥- وصف النار بأوصاف أربعة مرعبة رهيبة: هي سماع صوتٍ مُنكرٍ لها، وغليانها بالكفار، وغضبها عليهم، وتعنيف الزبانية لهم؛ للتخويف منها.

٦- الذين يخشون الله، ويخافون عذابه وعقابه، ويراقبونه في سرهم وعلنهم، لهم مغفرة لذنوبهم، وثواب كبير وهو الجنة.

٧- الدليل على كونه - تعالى - عالماً بجميع الأشياء السرية والعلنية أنه هو الخالق للإنسان وأفعاله وأقواله، ومَنْ خلق شيئاً لا بدّ وأن يكون عالماً بمخلوقه.

٨- لا ناصر ولا رازق للمؤمن والكافر في الحقيقة والواقع إلا الله عز وجل.

٩- مثُل الكافر في ضلاله وحيرته كالرجل المُنكَّس الرأس الذي لا ينظر أمامه ولا يمينه ولا شماله، ولا يأمن من الانكباب على وجهه، ومثل المؤمن في هدايته وتبصُّره كالرجل السوي الصحيح البصير الماشي في الطريق المستقيم المهتدي له، ولا شك بأن الثاني أهدى من الأول.

١٠- من البراهين على كمال قدرة الله تعالى: تمكين الطيور من الطيران في الهواء، وخلق الإنسان وتزويده بطاقات السمع والبصر والفؤاد أو العقل، وخلق الناس مُوزَّعين مفرقين على ظهر الأرض، ثم حشر الناس يوم القيامة، لمجازاة كلِّ بعمله؛ لأنَّ القادر على البدء أقدر على الإعادة.

١١- الاعتماد والتوكل على الله تعالى في كل حاجة، بعد اتخاذ الأسباب والوسائل المقدورة للبشر.

١٢- الله تعالى هو القادر على إمداد خلقه بالأرزاق والأمطار والمياه النابعة، ولا أحد غير الله عز وجل يقدر على ذلك.

١٣- الله تعالى برحمته وفضله ومنه وكرمه يمدّ عباده بما يحتاجون، وإن كفروا وجحدوا به.

الأسئلة

س ١: ما معنى تبارك، وما المراد بالملك؟ وما معنى كونه بيده؟ وما السر البلاغي فيه؟ وما الحياة؟ وما الموت؟ ولماذا قدم الموت على الحياة؟

س ٢: ما معنى فطور؟ وما نوع الاستفهام في قوله تعالى: ﴿هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ﴾؟ وما إعراب ينقلب؟ وما معنى خاستاً؟ وما إعرابه؟

س ٣: ما مرجع الضمير في ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾؟ وما المراد من شهيق جهنم؟

س ٤: ما معنى ﴿ذُلُولًا﴾؟ وما المراد بمناكب الأرض؟ وما الغاية من المشي فيها؟

س ٥: ما معنى صافات؟ وما مفعولها؟ ومتى يصفقن، ومتى يقبضن؟ وعلام عطف قوله تعالى: ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾؟

س ٦: ما المقصود بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْجِعَ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾؟

س ٧: ما السر البلاغي في قوله تعالى: ﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾؟ وما معنى الاستفهام في قوله تعالى: ﴿الَّذِي يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾؟

س ٨: اشرح بإيجاز قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

س ٩: اذكر ما يستفاد من السورة الكريمة.

سورة « القلم »

(مكية وهي اثنتان وخمسون آية)

﴿ تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

نعم الله على نبيه ﷺ:

﴿ تَ ﴾ الظاهر أن المراد به هذا الحرف من حروف المعجم، وسيقت هذه الحروف في مفتتح بعض السور؛ للتحدي والإعجاز.

﴿ وَالْقَلَمِ ﴾ أي: ما كتب به اللوح، أو قلم الملائكة، أو الذي يكتب به الناس، أقسم به؛ لما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف ﴿ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ أي: ما يسطره الحفظة، أو ما يكتب به من الخير، و ﴿ مَا ﴾ موصولة، أي: الذي يسطرون، أو مصدرية، أي: تسطيرهم، وجواب القسم:

﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ ﴾ أي: بإنعامه عليك بالنبوة وغيرها، ف ﴿ أَنْتَ ﴾ اسم ﴿ مَا ﴾ وخبرها ﴿ بِمَجْنُونٍ ﴾، و ﴿ نِعْمَةٍ رَبِّكَ ﴾ اعتراض بين الاسم والخبر، والباء في ﴿ نِعْمَةٍ رَبِّكَ ﴾ تتعلق بمحذوف محلُّه النصب على الحال، والعامل فيها ﴿ بِمَجْنُونٍ ﴾^(١) وتقديره: ما أنت بمجنون مُنْعَمًا عليك بذلك.

﴿ وَإِنَّ لَكَ ﴾ على احتمال رَمِيكَ بالجنون والصبر عليه ﴿ لَأَجْرًا ﴾ لثوابًا ﴿ غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ غير مقطوع، أو غير ممنون عليك به. ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

(١) وفي ذلك رد قاطع على أهل مكة المشركين حين قالوا: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾

﴿ فَسَبِّحْهُ وَبُصِّرْهُ ﴾ ٥ ﴿ بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ ﴾ ٦ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾
 ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ ٧ ﴿ فَلَا تَطْعُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ ٨ ﴿ وَدُّوا لَوْ تَدَّهِنُ فَيُدَّهِنُونَ ﴾ ٩

أي: وإنك لصاحب الخلق العظيم الذي أمرك الله به في القرآن، قالت عائشة رضي الله عنها: «كان خلقه القرآن»^(١). أي: ما فيه من مكارم الأخلاق.

﴿ فَسَبِّحْهُ وَبُصِّرْهُ ﴾ أي: عن قريب ترى ويرَوَنَ، هذا وَعَدُّ لَهُ عَلَى اللَّهِ ووعد لهم.

﴿ بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ ﴾ المجنون، أي: بأي الفريقين منكم الجنون: فريق الإسلام، أو فريق الكفر.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ أي: هو أعلم بالمجانين على الحقيقة، وهم الذين ضلوا عن سبيله ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ أي: وهو أعلم بالعقلاء، وهم المهتدون.

بعض أخلاق الكفار الذميمة:

﴿ فَلَا تَطْعُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ نهي معناه: التصميم على مخالفتهم^(٢)، وقد أرادوا أن يعبد الله مدةً وأهتتهم مدةً، وَيَكْفُؤُوا عَنْهُ شُرُورَهُمْ.

﴿ وَدُّوا لَوْ تَدَّهِنُ ﴾ لو تدين لهم ﴿ فَيُدَّهِنُونَ ﴾ فيلينون لك، ولم ينصب قوله: ﴿ فَيُدَّهِنُونَ ﴾ بإضمار أن حيث إنه جواب التمني؛ لأنه عُدِلَ بِهِ إِلَى طَرِيقٍ آخَرَ، وهو أَنْ جُعِلَ خَبْرٌ مَبْتَدَأً مَحْذُوفٌ، أي: فهم يدهنون، أي: فهم الآن يدهنون؛ لطمعهم في إدهانك.

(١) رواه مسلم.

(٢) أي الاستمرار في مخالفتهم.

﴿ وَلَا تُطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾ (١٠) هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتْلٍ
 بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ
 الْأُولِينَ ﴿١٥﴾

﴿ وَلَا تُطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ ﴾ كثير الحلف في الحقِّ والباطل، وكفى به زجرًا لمن اعتاد الحلف ﴿ مَّهِينٍ ﴾ حقير في الرأي والتميز، من المهانة، وهي القلة والحقارة، أو كذاب؛ لأنه حقير عند الناس.

﴿ هَمَّازٍ ﴾ عِيَابٍ طَعَّانٍ مَغْتَابٍ ﴿ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ نَقَّالٌ للحديث من قوم إلى قوم على وجه السعاية والإفساد بينهم.

﴿ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ ﴾ بخيل، والخير: المال، أو مَنَاعٌ أهله من الخير وهو الإسلام، والمراد به: الوليد بن المغيرة عند الجمهور، وكان يقول لبنيه العشرة: مَنْ أَسْلَمَ مِنْكُمْ مَنَعْتَهُ رَفْدِي ^(١).

﴿ مُعْتَدٍ ﴾ مُجَاوِزٍ فِي الظلم حَدَّهُ ﴿ أَثِيمٍ ﴾ كثير الآثام.

﴿ عُتْلٍ ﴾ غليظ جافٍ ﴿ بَعْدَ ذَلِكَ ﴾ بعد ما عدَّ له من المعايب ﴿ زَنِيمٍ ﴾ دَعِيٍّ فِي قَرِيشٍ مُلصِقٍ بالقوم وليس منهم.

﴿ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ ﴾ متعلق بقوله: ﴿ وَلَا تُطْعُ ﴾ أي: ولا تطعه مع هذه المثالب ^(٢)؛ أي: ليساره وحظه من الدنيا - فجحده وكفر، ويجوز أن يتعلق بما بعده، أي: لأن كان صاحب مال ﴿ وَبَنِينَ ﴾، كذَّبَ بآياتنا، يدل عليه ﴿ إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا ﴾ أي: القرآن ﴿ قَالَ أَسَاطِيرُ الْأُولِينَ ﴾ قصص وأباطيل القدماء، وليس هو من عند الله تعالى.

(١) عطائي.

(٢) المعايب.

﴿ سَنَسِمُهُ، عَلَى الْخُرطومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا

يَسْتَنْتُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾

﴿ سَنَسِمُهُ، ﴾ سنكويه ﴿ عَلَى الْخُرطومِ ﴾ على أنفه، مهانة له وعلامة يُعرف بها،
وتخصيص الأنف بالذكر؛ لأنَّ الوَسْمَ عليه أْبشع.

قصة أصحاب الجنة:

﴿ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ ﴾ امتحنا أهل مكة بالقحط والجوع حتى أكلوا الجيف والرَّمم
بدعاء النبي ﷺ حيث قال: «اللهم أشدّد وطأتك على مضر، واجعلها سنين

كسني يوسف»^(١). ﴿ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾ أصحاب البستان ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا ﴾
حلفوا ﴿ لَيَصْرِمُنَّهَا ﴾ ليقطعن ثمرها ﴿ مُصْبِحِينَ ﴾ داخلين في الصبح قبل انتشار
الفقراء، وهي حال من فاعل ﴿ لَيَصْرِمُنَّهَا ﴾

﴿ وَلَا يَسْتَنْتُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ ولا يقولون: إن شاء الله، وسُمي استثناء وإن كان شرطاً
في الصورة؛ لأنه قائم مقام الاستثناء من حيث إنَّ معنى قولك: لأخرجنَّ إن شاء
الله، ولا أخرج إلا أن يشاء الله واحداً.

﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ ﴾ أنزل الله تعالى عليها ناراً فأحرقتها ﴿ وَهُمْ نَائِبُونَ ﴾
أي: في حال نومهم.

﴿ فَأَصْبَحَتْ ﴾ فصارت الجنة ﴿ كَالصَّرِيمِ ﴾ كالليل المظلم، أي: احترقت
فاسودّت، أو كالصبح، أي: صارت أرضاً بيضاء بلا شجر، وقيل: كالمصرومة،
أي: كأنها صُرِمَت هلاك ثمرها.

(١) رواه البخاري ومسلم.

﴿فَنَادَا وَمُصْبِحِينَ ﴿١١﴾ أَنْ أَغْدُوا عَلَى حَرِثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدُوا عَلَى حَرْدٍ قَدِيرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿فَنَادَا وَمُصْبِحِينَ﴾ نادى بعضهم بعضًا عند الصباح ﴿أَنْ أَغْدُوا﴾ بكروا ﴿عَلَى حَرِثِكُمْ﴾ ولم يقل: إلى حرثكم؛ لأنَّ الغدوَّ إليه ليَصْرِموه كان غدوًّا عليه، أو ضَمَّنَ الغدوَّ معنى الإقبال، أي: فأقبلوا على حرثكم مبكرين ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَرِمِينَ﴾ مريدين صرامه.

﴿فَأَنْطَلَقُوا﴾ ذهبوا ﴿وَهُمْ يَخْفَتُونَ﴾ يخفضون أصواتهم فيما بينهم؛ لئلا يسمع المساكين.

﴿أَنْ لَا يَدْخُلَهَا﴾ أي: الجنة ﴿الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾ والنهي عن دخول المسكين نهي عن التمكين أي: لا تمكنوه من الدخول.

﴿وَغَدُوا عَلَى حَرْدٍ﴾ على جدِّ في منع الفقراء ﴿قَدِيرِينَ﴾ على المنع. ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ أي: جنتهم محترقة ﴿قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ﴾ أي: ضلَّلنا جنتنا، وما هي بها، قالوا ذلك: لما رأوا هلاكها، فلمَّا تأملوا وعرفوا أنَّها هي قالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ حُرِّمنا خيرها، ومُنَعنا ثمرها.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أعدلهم وخيرهم ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ هَلَّا تَسْبِّحُونَ، والتسبيح: تنزيه الله عمَّا لا يليق به، أو لولا تذكرون الله وتوبون إليه من خبث نيتكم.

﴿ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ ٣١ ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَمُونَ ﴾ ٣٠ ﴿ قَالُوا يَا نَبِيَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ ٣١ ﴿ عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّمَّا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾ ٣٢ ﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرُ أَكْبَرُ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُونَ ﴾ ٣٣ ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴾ ٣٤ ﴿

﴿ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ أقرؤا على أنفسهم بالظلم في منع المعروف.

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَمُونَ ﴾ يلوم بعضهم بعضًا بما فعلوا من الهرب من المساكين، ويحيل كل واحدٍ منهم اللائمة على الآخر.

ثم اعترفوا جميعًا بأنهم تجاوزوا الحدَّ بقولهم: ﴿ قَالُوا يَا نَبِيَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ بمنع حق الفقراء.

﴿ عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّمَّا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾ من هذه الجنة ﴿ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾ طالبون منه الخير راجون لعفوه.

﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ ﴾ أي: مثل ذلك العذاب الذي ذكرناه من عذاب الدنيا لِمَنْ سلك سبيل أصحاب الجنة ﴿ وَالْعَذَابُ الْآخِرُ أَكْبَرُ ﴾ أعظم منه ﴿ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُونَ ﴾ لما فعلوا ما يُؤدِّي بهم إلى هذا العذاب.

لا يستوي المطيع والعاصي

ثم ذكر ما أَعَدَّه تعالى للمؤمنين فقال: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ عن الشرك ﴿ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ أي: في الآخرة ﴿ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴾ جنات ليس فيها إلا التنعم الخالص بخلاف جنات الدنيا.

﴿أَفَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْجُرْمِينَ﴾ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ مَا تَحْزِنُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لِمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلَيتَأْوَأُوا إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾

﴿أَفَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْجُرْمِينَ﴾ استفهام إنكاري، أي: أنجور في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين؟. ثم قيل لكفار قريش على طريقة الالتفات: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الأعوج، وهو التسوية بين المطيع والعاصي، كأنَّ أمر الجزاء مفوض إليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم.

﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ﴾ من السماء ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ أي: تقرأون في ذلك الكتاب.
﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ مَا تَحْزِنُونَ﴾ أي: إنَّ ما تختارونه وتستهون به لكم، وتخيَّر الشيء واختاره: أخذ خيره.

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا﴾ عهود مؤكدة بالأيان ﴿بَلِغَةَ﴾ نعت لـ ﴿أَيْمَانٌ﴾، ويتعلق قوله: ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ببالغة أي: أنَّها تبلغ ذلك اليوم وتنتهي إليه ﴿إِنَّ لَكُمْ لِمَا تَحْكُمُونَ﴾ به لأنفسكم، وهو جواب القسم؛ لأن معنى ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا﴾ أم أقسمنا لكم بأيان مغلظة متناهية في التوكيد.

إنذار المشركين:

﴿سَلِّمُوا﴾ أي: المشركين ﴿إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ﴾ الحكم ﴿زَعِيمٌ﴾ كفيل وضامن.
﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ أي: ناس يشاركونهم في هذا القول، ويذهبون مذهبهم فيه ﴿فَلَيتَأْوَأُوا إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ في دعواهم. يعني: أنَّ أحداً لا يُسلم لهم هذا، ولا يُساعدهم عليه، كما أنَّه لا كتاب لهم ينطق به، ولا عهد لهم به عند الله، ولا زعيم لهم يضمن لهم هذا من الله.

﴿يَوْمٌ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (٤٢) خَشِيعَةً أَبْصَرَهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يَكْذِبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾

﴿يَوْمٌ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ نُصِبَ الظرف ﴿يَوْمٌ﴾ بقوله: ﴿فَلْيَأْتُوا﴾، أو نُصِبَ بفعل مضمر تقديره: اذكر، والجمهور على أَنَّ الكشف عن الساق كناية عن شدة الأمر وصعوبة الخطب، فمعنى: ﴿يَوْمٌ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ يوم يشتد الأمر ويصعب ﴿وَيُدْعَوْنَ﴾ أي: الكفار ﴿إِلَى السُّجُودِ﴾ لا يُدْعَوْنَ تكليفاً، ولكن توبيخاً على تركهم السجود في الدنيا ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ذلك؛ لأنَّ ظهورهم حينئذٍ لا تتشي عند الخفض والرفع.

﴿خَشِيعَةً﴾ ذليلة، وتعرب حالاً من الضمير في ﴿وَيُدْعَوْنَ﴾، ﴿أَبْصَرَهُمْ﴾ أي: يُدْعَوْنَ في حال خشوع أبصارهم ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ يغشاهم ذل وهوان ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ﴾ على ألسن الرسل ﴿إِلَى السُّجُودِ﴾ في الدنيا ﴿وَهُمْ سَلِيمُونَ﴾ أي: وهم أصحاء فلا يسجدون، فلذلك مُنعوا عن السجود في الآخرة.

﴿فَذَرْنِي﴾ يُقال: ذرني وإياه أي: اترك أمره إليّ، فإنّي أكفيك شره ﴿وَمَنْ يَكْذِبُ﴾ معطوف على المفعول، أو مفعول معه ﴿بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ بالقرآن. والمراد: اترك أمره إليّ، وَخَلَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ؛ فإنّي عالم بما ينبغي أن يفعل به، فلا تشغل قلبك بشأنه، وتوكل عليّ في الانتقام منه، وهذا تسلية لرسول الله ﷺ وتهديد للمكذبين ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ سنقرّبهم من العذاب درجة درجة، واستدراج الله تعالى العصاة: أن يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلون رزق الله سبباً في ازدياد المعاصي ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ من حيث لا يشعرون أنّه استدراج. قيل: كلّما جدّدوا معصية جدّدنا لهم نعمة، وأنسيناهم شكرها.

﴿ وَأَمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ (٤٥) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾

﴿ وَأَمْلِي لَهُمْ ﴾ أي: وأمهلهم ﴿ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ قويٌّ شديدٌ، فسمى إحسانه وتمكينه كيدًا كما سماه استدراجًا؛ لكونه في صورة الكيد حيث كان سببًا للهلاك^(١). والأصل: أن معنى الكيد والمكر والاستدراج هو الأخذ من جهة الأيمن، ولا يجوز أن يُسمَى الله كائدًا وماكرًا ومستدرجًا.

﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ ﴾ غرامة ﴿ مُثْقَلُونَ ﴾ فلا يؤمنون، والاستفهام بمعنى النفي أي: لست تطلب أجرًا على تبليغ الوحي، فيثقل عليهم ذلك، فيمتنعوا عن الإيمان لذلك.

﴿ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ ﴾ أي: اللوح المحفوظ عند الجمهور ﴿ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ منه ما يحكمون به.

مذكرتي

Mozkrtv.com

أمر الرسول ﷺ بالصبر على قومه:

﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ وهو إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم؛ لأنهم وإن أمهلوا لم يمهلوا ﴿ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ ﴾ كيونس عليه السلام في العجلة والغضب على القوم حتى لا تبلى بيلائه، والوقفُ على ﴿ الْحُوتِ ﴾؛ لأنَّ ﴿ إِذْ ﴾ مفعول لفعل محذوف أي: اذكر ﴿ إِذْ نَادَىٰ ﴾ دعا ربه في بطن الحوت بـ ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾^(٢) ﴿ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ مملوء غيظًا، مِنْ كَظَمَ السَّقَاءَ: إذا ملأه.

(١) وذلك مثل قوله سبحانه: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّنَا نَمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لَأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نَمْلِي لَهُمْ لِيَزَادُوا إِسْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

(٢) سورة الأنبياء. الآية: ٨٧.

﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنِيدَ بِالْعُرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَنِبْهُ رَبُّهُ، فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ

﴿٥٠﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيَزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا

ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ﴾ رحمة ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾ أي: لولا أن الله أنعم عليه بإجابة

دعائه، وقبول عذره ﴿لَنِيدَ﴾ من بطن الحوت ﴿بِالْعُرَاءِ﴾ بالفضاء ﴿وَهُوَ

مَذْمُومٌ﴾ مُعَاتَبٌ، لكنَّه سبحانه أجاب دعاءه ورحمه فَنِيدَ غير مذموم.

﴿فَاجْتَنِبْهُ رَبُّهُ﴾ اصطفاه ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ من المستكملين لصفات

الصلاح.

﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيَزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ﴾ زَلَقَهُ وَأَزْلَقَهُ: أزاله عن مكانه أي:

قارب الكفار من شدة نظرهم إليك بعيون العداوة أن يُزيلوك بأبصارهم عن

مكانك، أو يهلكوك لشدة حقدهم عليك، وفي الحديث: «العين حق»^(١). وعن

الحسن: «رقية العين هذه الآية». ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿وَيَقُولُونَ﴾ حسداً على

ما أُوتيت من النبوة ﴿إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ أي: يقولون: إنَّ محمداً مجنون؛ لتنفير الناس

عنه.

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ أي: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ وعظ ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ للجن والإنس. والمعنى:

أنَّهم نسبوه إلى الجنون لأجل القرآن، وما القرآن إلا موعظة للعالمين، فكيف

يُنسب إلى الجنون مَنْ جاء بمثله!، أو ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ شرف

﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ أي: للإنس والجن، فكيف يُنسب إليه الجنون!، والله أعلم.

(١) صحيح رواه أحمد وابن ماجه.

من الأسرار البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْهُ وَبُصِّرْهُ وَبُصِّرْهُ ۝٥ بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ ۝٦ ﴾ وعيد وتهديد، وحذف المفعول للتهويل.

- بين قوله تعالى: ﴿ ضَلَّ ﴾، ﴿ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ طباق.

- في قوله تعالى: ﴿ حَلَّافٍ ﴾، ﴿ هَمَّازٍ ﴾، ﴿ مَشَاءٍ ﴾، ﴿ مَنَاجٍ ﴾ صيغة مبالغة على وزن فعّال، وكذلك ﴿ أَثِيمٍ ﴾، ﴿ زَنِيمٍ ﴾ صيغة مبالغة على وزن فاعل.

- في قوله تعالى: ﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرطومِ ﴾ استعارة؛ حيث استعار خرطوم الفيل لأنف الإنسان، للاستهانة والاستخفاف.

- في قوله تعالى: ﴿ أَنْجَعِلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ طباق.

- في قوله تعالى: ﴿ أَنْجَعِلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ تشبيه مقلوب؛ ليكون أبلغ وأروع؛ لأنَّ الأصل: أنْجَعِلُ الْمُجْرِمِينَ كَالْمُسْلِمِينَ في الأجر والثواب.

- في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾ كناية عن شدة الهول يوم القيامة.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١- القسم بالقلم وبالمكتوب إشارة إلى خطرهما، وعظيم أثرهما ونفعهما في ميادين العلم والمعرفة والتقدم والحضارة.

٢- نفي الجنون عن النبي ﷺ ورد زعم الكفار.

٣- الدنيا دار ابتلاء واختبار.

- ٤- على مَنْ حصد زرعًا أو جنى ثمرةً أن يُعطي منها مَنْ حضره.
- ٥- العزم مَّا يؤاخذ به الإنسان؛ لأنَّ أهل الجنة عزموا على أن يفعلوا، فعُقبوا قبل فعلهم.
- ٦- الإنسان ضعيف القوة والتدبير والرأي لكنه إذا توكل على الله فإن الله يمنحه القوة والرشاد.
- ٧- الله ينتقم من المجرمين.
- ٨- للمتقين في الآخرة جنات ليس فيها إلا التنعم الخالص، لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنات الدنيا.
- ٩- لا تسوية في الجزاء الأخرى بين المسلمين والكفار، أو بين الطائعين والعصاة.
- ١٠- الله يمهل ولا يهمل، فهو سبحانه يمهل ويطيل المدة للظالمين والكفار، ثم يعاقبهم، فلا يفوته أحد، وعذاب الله قوي شديد، وتدبيره محكم لا يمكن التفلت منه.
- ١١- الصبر على قضاء الله وحكمه مطلوب شرعًا.
- ١٢- القرآن لا يتحملة إلا مَنْ كان أهلاً له من العقلاء، وهو شرف وتذكير وموعظة للعالمين.

الأسئلة

س ١: ما المراد بـ ﴿ت﴾؟ ولما الضمير في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾؟ وما نوع (ما)؟ وما جواب القسم؟.

س ٢: ما معنى ﴿عَيْرَ مَمْنُونٍ﴾؟ وما المراد بقوله تعالى: ﴿بِمَنْ ضَلَّ﴾؟ و﴿بِالْمُهْتَدِينَ﴾؟ وما معنى ﴿حَلَّافٍ﴾؟.

س ٣: بم يتعلق قوله تعالى: ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ﴾؟ وما معنى ﴿سَنَسِمُهُ﴾؟ وما الغرض من هذا (الوسم)؟.

س ٤: ما معنى ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾؟ وما إعراب ﴿مُصْبِحِينَ﴾؟ وما معناه؟ وما المراد بالطائف؟.

س ٥: علام يدل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾؟ وما نوع السجود في قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ﴾؟.

س ٦: ما معنى ﴿وَهُمْ يَنْخَفُونَ﴾؟ وما موقعه الإعرابي؟ وما المراد بالحرْد؟ ومتى قالوا ﴿إِنَّا لَضَّالُّونَ﴾؟ وما مفعول (ضالون)؟.

س ٧: وصف القرآن الكريم الكفار بصفات ذميمة، اذكر هذه الصفات الواردة في السورة، مع توضيح معنى كل صفة؟.

س ٨: ما السر البلاغي في قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ﴾؟ وما معنى الوسْم؟ ولماذا خص الخرطوم بالذكر؟ ولماذا استخدم حرف الجر ﴿عَلَى﴾ دون إلى في قوله تعالى: ﴿أَنْ أَعْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ﴾؟.

س ٩: استدل من السورة الكريمة على:

(أ) القرآن شرف وتذكير وموعظة للعالمين.

(ب) الدنيا دار ابتلاء واختبار.

س ١٠: اذكر ما يستفاد من السورة الكريمة.

مذكرتي
Mozkrty.com

سورة الحاقة

مكية وهي اثنتان وخمسون آية

﴿ الْحَاقَّةُ ١ ﴾ مَا الْحَاقَّةُ ٢ ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ٣ ﴾ كَذَبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ٤ ﴿
فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ٥ ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ ﴿

تفخيم شأن القيامة وعقاب المكذابين بها:

﴿ الْحَاقَّةُ ﴾ الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التي هي آتية لا ريب فيها، من حقٍّ يحقُّ بالكسر، أي: وجب ﴿ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ مبتدأ وخبر، وهما خبر الحاقة، والأصل: الحاقة ما هي؟ أي: أي شيء هي؟ تفخيماً لشأنها، وتعظيماً لهولها، فوضع الظاهر موضع الضمير؛ لزيادة التهويل ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ ﴾ أي: وأي شيء أعلمك ﴿ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ يعني: أنك لا علم لك بحقيقتها ومدى عظمتها؛ لأنها من العِظَم والشدة بحيث لا تبلغه دراية المخلوقين. و﴿ وَمَا ﴾ مرفوع بالابتداء، و﴿ أَدْرَاكَ ﴾ الخبر، وجملة ﴿ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ في موضع نصب؛ لأنها مفعول ثانٍ لأدري ﴿ كَذَبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴾ أي: بالحاقة، فوضعت القارعة موضعها؛ لأنها من أسماء القيامة، وسميت بها: لأنها تفرع الناس بالأفراع والأهوال، ولما ذكرها وفحّمها، أتبع ذكر ذلك ذكر مَنْ كذب بها، وما حلَّ بهم بسبب التكذيب؛ تذكيراً لأهل مكة، وتخويفاً لهم من عاقبة تكذيبهم فقال: ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴾ بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة، واختلف فيها؛ فقيل: الرجفة، وقيل: الصيحة^(١) ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ ﴾ أي: بالدَّبُور: لقوله ﷺ: «نصرت بالصِّبَا، أي: بالريح الشرقية وأهلكت عاد بالدَّبُور»^(٢) أي: الريح الغربية ﴿ صَرْصَرٍ ﴾

(١) قوله (بالطاغية) صفة لموصوف محذوف فقد يره: بالصيحة الطاغية، أو الصعقة الطاغية، أو الرجفة الطاغية.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

﴿عَاتِيَةٍ ٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكْتُ بِالْخَطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾

شديدة الصوت، من الصَّرة: الصيحة، أو باردة من الصَّرِّ، كأنها التي كُرِّرَ فيها البرد وكثُر، فهي تحرق بشدة بردها ﴿عَاتِيَةٍ﴾ شديدة العَصْف، أو عتت على خُزَّانها، فلم يضبطوها بإذن الله غضبًا على أعداء الله^(١) ﴿سَخَّرَهَا﴾ سَلَطَهَا ﴿عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ ﴿حُسُومًا﴾ أي: متتابعة لا تنقطع، جمع حاسم، كشهود جمع شاهد؛ تمثيلاً لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في إعادة الكيِّ على الداء مرة بعد أخرى حتى يَنْحَسِم، وجاز أن يكون مصدرًا، أي: تحسم حُسُومًا بمعنى: تستأصل استئصالًا ﴿فَتَرَى﴾ أيها المخاطب ﴿الْقَوْمَ فِيهَا﴾ أي: في مهاجَّها، أو في الليالي والأيام ﴿صَرْعَى﴾ حال، جمع صَرِيع ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ حال أخرى ﴿أُعْجَازُ﴾ أصول ﴿نَخْلٍ﴾ جمع نخلة ﴿خَاوِيَةٍ﴾ ساقطة أو بالية ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾ مِنْ نَفْسٍ باقية، أو من بقاء، كالطاغية بمعنى الطغيان ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ﴾ وَمَنْ تَقَدَّمَهُ من الأمم، وقرأ أبو عمرو ويعقوب والكسائي (وَمَنْ قَبْلَهُ)، أي: وَمَنْ عنده من أتباعه ﴿وَالْمُؤْتَفِكْتُ﴾ قرى قوم لوط، فهي اتئفكت، أي: انقلبت بهم ﴿بِالْخَطِئَةِ﴾ بالخطأ، أو بالفعل، أو بالأفعال ذات الخطأ العظيم ﴿فَعَصَا﴾ أي: قوم لوط ﴿رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ لوطا ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ أي: شديدة زائدة في الشدة، كما زادت قبائحهم في القبح ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ﴾ أي: ارتفع الطوفان ﴿حَمَلْنَاكُمْ﴾ أي: حملنا آباءكم ﴿فِي الْجَارِيَةِ﴾ أي: في

(١) وابتدأ الحق سبحانه بذكر ما أصاب هاتين القبيلتين لأنها أكثر القبائل المكذبة، ولمعرفة مشركي مكة بهما، ومساكنهما كانتا في شمال وجنوب الجزيرة العربية.

﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيهَا أذنٌ وَعِيةٌ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْحَةً وَحِدَةً﴾ ﴿١٣﴾ ﴿وَجَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّنَا ذَكَّةً وَحِدَةً﴾ ﴿١٤﴾ ﴿فِيَوْمِئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ ﴿١٥﴾ ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ ﴿١٦﴾ ﴿وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿فِيَوْمِئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ ﴿١٨﴾ ﴿فَأَمَّا﴾

سفينه نوح ﷺ ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ أي: الفعلة، وهي إنجاء المؤمنين وإغراق الكافرين ﴿لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ عبرة وعظة ﴿وَتَعِيهَا﴾ وتحفظها ﴿أذنٌ وَعِيةٌ﴾ حافظة لما تسمع، قال قتادة: هي أذن عقلت عن الله، وانتفعت بما سمعت.

من مشاهد القيامة:

﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْحَةً وَحِدَةً﴾ هي النفخة الأولى ويموت عندها الناس، والثانية يُبعثون عندها ﴿وَجَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ رفعتا عن موضعهما ﴿فَدُكَّنَا ذَكَّةً وَحِدَةً﴾ كسرتا، أي: ضرب بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيرًا مهيلًا وهباءً منبثًا ﴿فِيَوْمِئِذٍ﴾ فحينئذ ﴿وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ نزلت النازلة، وهي القيامة، وجواب ﴿إِذَا﴾: ﴿وَقَعَتِ﴾، و﴿يَوْمِئِذٍ﴾ بدل من (إذا)، ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ فتُتحت أبوابًا ﴿فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ مسترخية ساقطة القوة بعد ما كانت محكمة ﴿وَالْمَلِكُ﴾ (ال) فيه للجنس بمعنى الجمع، وهو أعمُّ من الملائكة ﴿عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ جوانبها، مفردها: رجا؛ لأنها إذا انشقت وهي مسكن الملائكة، فيلجأون إلى أطرافها ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ فوق الملك الذين على أرجائها ﴿يَوْمِئِذٍ ثَمَنِيَةٌ﴾ منهم، واليوم تحمله أربعة، وزيدت أربعة أخرى يوم القيامة، وعن الضحاك: ثمانية صفوف، وقيل: ثمانية أصناف ﴿يَوْمِئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ للحساب والسؤال ﴿لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ سريرة كانت تخفى في الدنيا ﴿فَأَمَّا﴾ تفصيل للعرض

﴿مَنْ أَوْقَىٰ كِتَابَهُ، بِبَيْمِينِهِ، فَيَقُولُ هَاؤُمُ أَقْرَأُ وَكُنِّيَّةٌ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكِي حِسَابِيَّةٌ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عَيْشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَلَيْكَ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أَوْقَىٰ كِتَابَهُ، بِشِمَالِهِ، فَيَقُولُ يَلَيِّنُنِي لَمْ أَوْتِ كِتَابِيَّةٌ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَّةٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿مَنْ أَوْقَىٰ كِتَابَهُ، بِبَيْمِينِهِ، فَيَقُولُ﴾ سرورًا به لما يرى فيه من الخيرات خطابًا لجماعته ﴿هَآؤُمُ﴾ اسم فعل، أي: خُذُوا ﴿أَقْرَأُ وَكُنِّيَّةٌ﴾ تقديره: هَاؤُمُ كتابي اقرءوا كتابيه، فحذف الأول لدلالة الثاني عليه، والعامل في ﴿كُنِّيَّةٌ﴾: ﴿أَقْرَأُوا﴾ عند البصريين؛ لأنهم يُعْمَلُونَ الْأَقْرَبَ، والهاء في ﴿كُنِّيَّةٌ﴾ و﴿حِسَابِيَّةٌ﴾ و﴿مَالِيَّةٌ﴾ و﴿سُلْطَنِيَّةٌ﴾: للسكت، وحقها أن تثبت في الوقف وتسقط في الوصل، وقد استحَبَّ إِثَارَ الْوَقْفِ؛ لِثَبُوتِهَا فِي الْمَصْحَفِ ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ﴾ علمت، وإنما أجرى الظن مجرى العلم؛ لأن الظنَّ يقوم مقام العلم في العادات والأحكام، ولأن ما يدرك بالاجتهاد قلما يخلو عن الوسواس والخواطر، وهي تفضي إلى الظنون، فجاز إطلاق لفظ الظن عليه ﴿أَنِّي مُلْكِي حِسَابِيَّةٌ﴾ معاين حسابي ﴿فَهُوَ فِي عَيْشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ ذات رضا يرضى بها صاحبها ﴿فِي جَنَّةٍ عَلَيْكَ﴾ رفيعة المكان، أو رفيعة الدرجات، أو رفيعة المباني والقصور، وهو خبر بعد خبر ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ ثمارها قريبة من مريدها يناها القائم والقاعد والمتكى، يقال لهم ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ أكلاً وشراباً هنيئاً لا مكروه فيها ولا أذى، أو هنتم هنيئاً على المصدر ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾ بما قدمتم من الأعمال الصالحة ﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ الماضية من أيام الدنيا، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هي في الصائمين، أي: كلوا واشربوا بدل ما أمسكتم عن الأكل والشرب لوجه الله ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْقَىٰ كِتَابَهُ، بِشِمَالِهِ، فَيَقُولُ يَلَيِّنُنِي لَمْ أَوْتِ كِتَابِيَّةٌ﴾ لما يرى فيه من الفضائح ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَّةٌ﴾

﴿يَلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٩﴾ خَذُوهُ فَعُلُوهُ ﴿٣٠﴾
 ﴿ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلْوُهُ﴾ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
 الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحْضُرُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣٤﴾

أي: يا ليتني لم أعلم ما حسابي ﴿يَلَيْتَهَا﴾ أي: يا ليت الموتة التي متها ﴿كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ أي: القاطعة لأمري فلم أبعث بعدها، ولم ألق ما ألقى ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ﴾ أي: لم ينفعني ما جمعته في الدنيا، ف﴿مَا﴾ نافية، والمفعول محذوف، أي: شيئاً ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ ملكي وتسلّطي على الناس وبقيت فقيراً ذليلاً، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ضلّت عني حجتي، أي: بطلت حجتي التي كنت أحتجُّ بها في الدنيا؛ فيقول الله تعالى لخزنة جهنم: ﴿خَذُوهُ فَعُلُوهُ﴾ أي: اجمعوا يديه إلى عنقه ﴿ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلْوُهُ﴾ أي: أدخلوه الجحيم، وهي النار العظمى، أو نُصب الجحيم بفعل محذوف يفسره قوله ﴿صَلْوُهُ﴾ ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا﴾ طولها ﴿سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ لا يعرف قدرها إلا الله ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ فأدخلوه، والمعنى في تقديم السلسلة على السِّلْكِ مثله في تقديم الجحيم على التصلية ﴿إِنَّهُ﴾ تعليل، كأنه قيل: ماله يُعَذَّبُ هذا العذاب الشديد؟ فأجيب بأنه ﴿كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ (٣٣) وَلَا يَحْضُرُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣٤﴾ على بذل طعام المسكين، وفيه إشارة إلى أنه كان لا يؤمن بالبعث؛ لأن الناس لا يطلبون من المساكين الجزاء فيما يطعمونهم، وإنما يطعمونهم لوجه الله ورجاء الثواب في الآخرة، فإذا لم يؤمن بالبعث لم يكن له ما يحمله على إطعامهم، أي: أنه مع كفره لا يحرص غيره على إطعام المحتاجين، وفيه دليل قوي على عظم جرّم حرمان المسكين؛ لأنه عطفه على الكفر، وجعله دليلاً عليه، وقرينة له، لأنه ذكر الحَضُّ دون الفعل؛ ليعلم أن تارك الحَضِّ إذا كان

﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَاهَا حَمِيمٌ ﴾ ٣٥ ﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ ﴾ ٣٦ ﴿ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴾ ٣٧ ﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴾ ٣٨ ﴿ وَمَا لَا تَبْصِرُونَ ﴾ ٣٩ ﴿ إِنَّهُ، لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ ٤٠ ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴾ ٤١ ﴿ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ ٤٢ ﴿

بهذه المنزلة، فتارك الفعل أحق. وعن أبي الدرداء: ﷺ أنه كان يحض امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين، ويقول: «خلعنا نصف السلسلة بالإيمان، فنخلع نصفها بهذا». وهذه الآيات ناطقة على أن المؤمنين يرحمون جميعاً والكافرين لا يرحمون؛ لأنه قسّم الخلق نصفين، فجعل صنفاً منهم أهل اليمين، ووصفهم بالإيمان فحسب بقوله: ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَئِقٌ حِيسَابِيَهٗ ﴾، وصنفاً منهم أهل الشمال، ووصفهم بالكفر بقوله: ﴿ إِنَّهُ، كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴾ وجاز أن الذي يُعاقَب من المؤمنين إنما يُعاقَب قبل أن يؤتى كتابه بيمينه ﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَاهَا حَمِيمٌ ﴾ قريب يدفع عنه ويحترق له قلبه ﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ ﴾ أي: غسالة أهل النار، وأريد به هنا: ما يسيل من أبدانهم من الصديد والدم ﴿ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴾ أي: الكافرون أصحاب الخطايا.

تأكيد صدق الرسول ﷺ:

﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴾ من الأجسام والأرض والسماء ﴿ وَمَا لَا تَبْصِرُونَ ﴾ من الملائكة والأرواح، فالحاصل أنه أقسم بجميع الأشياء ﴿ إِنَّهُ، ﴾ أي: إن القرآن ﴿ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ أي: محمد ﷺ، أو جبريل ﷺ، أي: يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ﴾ كما تدعون ﴿ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴾ ٤١ ﴿ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٍ ﴾ كما تقولون ﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ والقلّة في معنى العدم، يقال: هذه

﴿ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^{٤٣} وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقْوَابِلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَنَذِكُرُهُ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

أرض قلماً تنبت، أي: لا تنبت أصلاً، والمعنى: لا تؤمنون ولا تذكرون ألبتة ﴿ نَزِيلٌ ﴾ أي: هو تنزيل، بياناً؛ لأنه قول رسول نزل عليه ﴿ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^{٤٣} وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقْوَابِلِ ﴿٤٤﴾ ولو ادَّعى علينا شيئاً لم نقله ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴾ لقتلناه صبراً، كما يفعل الملوك بمن يتكذَّب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام، فصور قتل الصبر بصورته ليكون أهول، وهو أن يأخذ بيده وتضرب رقبته، وخص اليمين؛ لأن القتال إذا أراد أن يوقع الضرب في قفاه أخذ بيساره، وإذا أراد أن يوقعه في عنقه - وهو أشدُّ على المصبور لنظره إلى السيف - أخذ بيمينه، ومعنى ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴾ لأخذنا بيمينه وكذا ﴿ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾ لقطعنا وَتِينَهُ وهو حبل الوريد إذا قُطِع مات صاحبه ﴿ فَمَا مِنْكُمْ ﴾ الخطاب للناس أو للمسلمين ﴿ مِّنْ أَحَدٍ ﴾ من زائدة^(١) ﴿ عَنْهُ ﴾ عن قتل محمد، وجمَعَ ﴿ حَاجِزِينَ ﴾ وإن كان وَصَفَ ﴿ أَحَدٍ ﴾ لأنه في معنى الجماعة، ومنه قوله تعالى: ﴿ لَا تَفْرُقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾^(٢).

﴿ وَإِنَّهُ ﴾ أي: وإن القرآن ﴿ لَنَذِكُرُهُ ﴾ لعظة ﴿ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾^{٤٨} وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ ﴾ أي: وإن القرآن ﴿ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ أي: الكافرين به، المكذبين له، إذا رأوا ثواب المصدقين به ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ أي: وإن القرآن ﴿ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴾ لعين اليقين ومحض اليقين ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ فسبح الله بذكر اسمه العظيم، وهو قوله: سبحان الله.

(١) المراد زيادة إعراب لا زيادة معنى لأن كل حرف في كتاب الله له معنى علمه من علمه وجهله من جهله.
(٢) سورة البقرة. الآية: ٢٨٥.

من الأسرار البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿ وَثَمَنِيَّةً أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ شبه تتابع الريح على قوم عاد بتتابع فعل الحاسم في إعادة الكمي على الداء مرة بعد أخرى حتى ينحسم.
- في قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ تشبيه مرسل مجمل حيث ذُكرت الأداة وحُذف وجه الشبه.
- في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ ﴾ استعارة تبعية؛ لأن الطغيان صفة من صفات الإنسان، فشبه ارتفاع الماء بطغيان الإنسان على الإنسان بطريق الاستعارة.
- في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ ﴾ شبه عَرْض الآخرة بعرض السلطان العسكر؛ لتعرف أحواله.
- قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلْوَةٌ ﴾. ﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾ تقديم الجحيم على التصلية وكذلك تقديم السلسلة على السلك للتخصيص.
- في قوله تعالى: ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴾ اليمين كناية عن القوة والقدرة.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

- ١- تفخيم شأن القيامة، وتعظيم أمرها، والتخويف من أهوالها.
- ٢- وجوب الاعتاز والاعتبار بمصير الأمم السابقة التي كذبت رسلها.
- ٣- في يوم القيامة الرهيب يعرض العباد على الله للحساب والجزاء.

٤- أخذ الكتاب باليمين دليل على النجاة.

٥- الناجي في جنة عالية، أي عظيمة في النفوس، ثارها قريبة التناول، يتناولها القائم والقاعد والمضطجع.

٦- الشقي في جهنم، وقد سلسل في سلسلة لا يعلم قدرها إلا الله، ويصير طعامه ما يسيل من أبدان أهل النار.

٧- سبب الفوز بالجنة للمؤمنين السعداء: الإيمان والأعمال الصالحة في الدنيا، وسبب العذاب والوعيد الشديد للأشقياء: عدم الإيمان بالله العظيم وعدم بذل المال للمساكين.

٨- عظم جُرم حرمان المساكين.

٩- القرآن الكريم تنزيل من رب العالمين.

مذكرتي
Mozzy.com

الأسئلة

س ١: ما المراد بالحاقة؟ وما إعراب ﴿ الْحَاقَّةُ ١ ﴾ مَا الْحَاقَّةُ ؟؟ ولم وضع الظاهر موضع المضمير في قوله تعالى ﴿ مَا الْحَاقَّةُ ﴾؟ وما معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾؟ وما إعرابه؟ وما المراد بالقارعة؟

س ٢: ما معنى ﴿ عَابِتَةٍ ﴾؟ وما معنى ﴿ سَخَّرَهَا ﴾؟ وما معنى ﴿ حُسُومًا ﴾؟ وما السر البلاغي هنا؟ ولمن الخطاب في قوله تعالى: ﴿ فَتَرَى ﴾؟ وإلام يعود الضمير في قوله تعالى ﴿ الْقَوْمَ فِيهَا ﴾؟ وما إعراب ﴿ صَرَعْنِي ﴾؟

س ٣: ما المؤتفكات؟ ولم سميت بذلك؟ وما معنى بالخاطئة؟ ومن المقصود بقوله تعالى: ﴿ رَسُولَ رَبِّهِمْ ﴾؟ وما معنى ﴿ رَأِيَّةً ﴾؟ وما المراد بقوله تعالى: ﴿ طَعَا الْمَاءَ ﴾؟ وما السر البلاغي فيه؟

س ٤: ما المراد بقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْحَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾؟ وما معنى ﴿ وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾؟ وأين جواب (إذا)؟ وما إعراب ﴿ فَيَوْمَئِذٍ ﴾؟ وما معنى ﴿ وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ ﴾؟

س ٥: ما المقصود بقوله تعالى: ﴿ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾؟ وما نوع «ال» في قوله تعالى ﴿ وَالْمَلَكُ ﴾؟ وما معنى ﴿ أَرْجَائِبَهَا ﴾؟ وما مفرده؟ ولماذا تكون الملائكة حينئذ على أرجائها؟ ولمن الضمير في قوله تعالى: ﴿ فَوْقَهُمْ ﴾؟ وما المقصود بقوله تعالى: ﴿ ثَمِينَةٌ ﴾؟

س ٦: ما السر البلاغي في قوله تعالى: ﴿ كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾؟

س٧: اشرح بإيجاز قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ

يَالْيَمِينِ ﴿٤٤﴾.

س٨: صورت السورة مشاهد القيامة، وبينت أن الناس حينئذٍ صنفان، بين ذلك.

س٩: اذكر ما يستفاد من السورة الكريمة.

مذكرتى
Mozkrty.com

سورة المعارج مكية وهي أربع وأربعون آية

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾
تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾

عناد المشركين وجزاؤهم:

﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ هو النضر بن الحارث، قال: ﴿إِنْ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ^(١) ولَمَّا ضُمِّنَ ﴿سَأَلَ﴾ معنى دعا، عُدِّي تعديته كأنه قيل: دعا داع ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ من قولك: دعا بكذا، إذا استدعاه وطلبه، ومنه قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَنَكِهَةٍ﴾ ^(٢) ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ صفة لعذاب، أي: بعذاب واقع كائن للكافرين ﴿لَيْسَ لَهُ﴾ لذلك العذاب ﴿دَافِعٌ﴾ رادٌّ ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ متصل بواقع، أي: واقع من عنده، أو بدافع، أي: ليس له دافع من جهته تعالى إذا جاء وقته ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ أي: مصاعد السماء للملائكة، جمع مَعْرَجٍ، وهو موضع العروج. ثم وصف المصاعد وُبُعِدَ مداها في العلو والارتفاع فقال: ﴿تَعْرُجُ﴾ تصعد ﴿الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ أي: جبريل عليه السلام، خصّه بالذكر بعد العموم لفضله وشرفه، أو خَلَقَ هم حفظة على الملائكة كما أن الملائكة حفظة علينا، أو أرواح المؤمنين عند الموت ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى عرشه ومهبط أمره ﴿فِي يَوْمٍ﴾ صلة لتعرج ﴿كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾

(١) سورة الأنفال. الآية: ٣٢.

(٢) سورة الدخان. الآية: ٥٥.

﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلِّهِلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْئَلُ حِمِيمٌ حِمِيمًا ﴿١٠﴾ يَبْصُرُونَهُمْ ﴿١١﴾

من سنيّ الدنيا لو صعد فيه غير الملك، أو من صلة واقع، أي: يقع في يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة من سنيكم وهو يوم القيامة، فإما أن يكون استطالة له لشدته على الكفار، أو لأنه على الحقيقة كذلك، فقد قيل: فيه خمسون موطنًا كل موطن ألف سنة، وما قدر ذلك على المؤمن إلا كما بين الظهر والعصر ﴿ فَاصْبِرْ ﴾ متعلق بـ ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ ﴾؛ لأن استعجال النضر بالعذاب إنما كان على وجه الاستهزاء برسول الله ﷺ والتكذيب بالوحي، وكان ذلك مما يضجر رسول الله ﷺ؛ فأمر بالصبر عليه ﴿ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ أي: بلا جزع ولا شكوى ﴿ إِنَّهُمْ ﴾ إن الكفار ﴿ يَرَوْنَهُ ﴾ أي العذاب، أو يوم القيامة ﴿ بَعِيدًا ﴾ مستحيلًا ﴿ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴾ كائنًا لا محالة، فالمراد بالبعيد: البعيد من الإمكان والقريب: القريب منه، نصب ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ ﴾ بـ ﴿ قَرِيبًا ﴾، أي يمكن في ذلك اليوم، أو هو بدل من ﴿ فِي يَوْمٍ ﴾ فيمن علقه بـ ﴿ وَاَقَعَ ﴾ ﴿ كَالْهَلِّهِلِ ﴾ كدرديّ الزيت [ما يكون في قعر إناء الزيت المستعمل لمدة طويلة] أو كالفضة المذابة في تلونها ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴾ كالصوف المصبوغ ألوانًا؛ لأن الجبال ﴿ جُدُدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾^(١) فإذا بُسَّت وطُيرت في الجو أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح ﴿ وَلَا يَسْئَلُ حِمِيمٌ حِمِيمًا ﴾ لا يسأل قريب عن قريب لاشتغاله بنفسه. ﴿ يَبْصُرُونَهُمْ ﴾ صفة، أي: حميما مبصرين معرفين إياهم، أو مستأنف، كأنه لما قال: ﴿ وَلَا يَسْئَلُ حِمِيمٌ حِمِيمًا ﴾ قيل: لعله لا يبصره، فقيل: ﴿ يَبْصُرُونَهُمْ ﴾ ولكنهم

(١) سورة فاطر. الآية: ٢٧.

﴿يُودُ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِهِ بِبَيْنِهِ﴾ (١١) ﴿وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ﴾ (١٢) ﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُتَوَّبُ﴾ (١٣) ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ (١٤) ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْلَى﴾ (١٥) ﴿نَزَاعَةً لِّلشَّوَى﴾ (١٦) ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ (١٧) ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ (١٨) ﴿

لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم؛ والواو ضمير الحميم الأول، وهم ضمير الحميم الثاني، أي يبصر الأحماء الأحماء فلا يخفون عليهم، وإنما جمع الضميران^(١) وهما للحميمين؛ لأن فعلاً يقع موقع الجمع ﴿يُودُ الْمُجْرِمُ﴾ يتمنى المشرك، وهو مستأنف، أو حال من الضمير المرفوع، أو المنصوب من ﴿يَبْصُرُونَهُمْ﴾. ﴿لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِهِ بِبَيْنِهِ﴾. ﴿وَصَحْبَتِهِ﴾ وزوجته ﴿وَأَخِيهِ﴾. ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ وعشيرته الأقربين ﴿الَّتِي تُتَوَّبُ﴾ تَضُمَّه انتهاء إليها ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ من الناس ﴿ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ الافتداء، عطف على ﴿يَفْتَدِي﴾ ﴿كَلَّا﴾ ردع للمجرم عن الودادة^(٢)، وتنبه على أنه لا ينفعه الافتداء، ولا ينجيه من العذاب ﴿إِنَّهَا﴾ إن النار، ودل ذكر العذاب عليها، أو هو ضمير مبهم ترجم عنه الخبر، أو ضمير القصة ﴿لَأَطْلَى﴾ علم على النار ﴿نَزَاعَةً﴾ قرأ حفص والمفضل بالنصب على الحال المؤكدة، أو على الاختصاص للتهويل، وغيرهما بالرفع خبر بعد خبر لـ: «إن»، أو على تقدير: هي نزاعة ﴿لِّلشَّوَى﴾ لأطراف الإنسان كاليدين والرجلين، أو جمع: شِوَاة، وهي جلدة الرأس تنزعها نزاعاً فتنفرقها، ثم تعود إلى ما كانت ﴿تَدْعُوا﴾ بأسمائهم: يا كافر! يا منافق! إِيَّيَّيَّ، أو: تهلك، من قولهم: دعاك الله، أي أهلكك، أو لما كان مصيره إليها جعلت كأنها دعته ﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾ عن الحق ﴿وَتَوَلَّى﴾ عن الطاعة ﴿وَجَمَعَ﴾ المال ﴿فَأَوْعَى﴾ فجعله في وعاء ولم يؤد حق الله منه.

(١) أي في قوله: ﴿يَبْصُرُونَهُمْ﴾.

(٢) الودادة: بفتح الواو وكسرها.

﴿ ٥٠ ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ ﴿٢٨﴾

طبع الإنسان وبيان صفات المؤمنين وجزائهم:

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ ﴾ أريد به الجنس؛ ليصح استثناء المصلين منه ﴿ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنه تفسيره ما بعده ﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴾ ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ والهلع: سرعة الجزع عند مس المكروه، وسرعة المنع عند مس الخير. وسأل محمد بن عبد الله بن طاهر ثعلبًا عن الهلع؛ فقال: قد فسره الله تعالى، ولا يكون تفسير أيمن من تفسيره، وهو الذي إذا ناله شر أظهر شدة الجزع، وإذا ناله خير بخل به ومنعه الناس، وهذا طبعه، وهو مأمور بمخالفة طبعه وموافقة شرعه. والشر: الضر والفقر، والخير: السعة والغنى، أو: المرض والصحة

﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾ ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ ﴾ أي: على صلواتهم الخمس ﴿ دَائِمُونَ ﴾ أي: يحافظون عليها في مواقيتها. عن ابن مسعود رضي الله عنه ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴾ يعني: الزكاة؛ لأنها مقدرة معلومة، أو صدقة يقررها الرجل على نفسه يؤديها في أوقات معلومة ﴿ لِلسَّائِلِ ﴾ الذي يسأل ﴿ وَالْمَحْرُومِ ﴾ الذي يتعفف عن السؤال فيحسب غنيًا فيحرم ﴿ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ أي: يوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ﴾ خائفون. واعترض بقوله ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾ أي: لا ينبغي لأحد وإن بالغ في الاجتهاد والطاعة أن يأمنه، وينبغي أن يكون متأرجحًا بين الخوف والرجاء

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ ﴿﴾

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ ﴿﴾ نَسَائِهِمْ ﴿﴾ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴿﴾ أي: إمائهم ﴿﴾ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿﴾ على ترك الحفظ ﴿﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ ﴿﴾ طلب منكحًا ﴿﴾ وَرَاءَ ذَلِكَ ﴿﴾ أي غير الزوجات والمملوكات ﴿﴾ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿﴾ المتجاوزون عن الحلال إلى الحرام. وهذه الآية تدل على حرمة المتعة، ووطء الذكران والبهائم، والاستمناء باليد^(١) ﴿﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ ﴿﴾ أي: أمانات الشرع وأمانات العباد ﴿﴾ وَعَهْدِهِمْ ﴿﴾ أي: عهودهم، ويدخل فيها: عهود الخلق، والنذور، والأيمان ﴿﴾ رِعُونَ ﴿﴾ حافظون غير خائنين ولا ناقضين ﴿﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿﴾ أي: يقيمونها عند الحكام بلا ميل إلى قريب وشريف، وترجيح للقوي على الضعيف؛ إظهارًا للصلابة في الدين، ورغبة في إحياء حقوق المسلمين ﴿﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿﴾ كرر ذكر الصلاة؛ لبيان أنها أهم، أو لأن إحداهما للفرائض والأخرى للنوافل، وقيل: الدوام عليها: الاستكثار منها، والمحافظة عليها: أن لا تضع عن مواقيتها، أو الدوام عليها: أدائها في أوقاتها، والمحافظة عليها: حفظ أركانها وواجباتها وسننها وآدابها ﴿﴾ أُولَٰئِكَ ﴿﴾ أصحاب هذه الصفات ﴿﴾ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿﴾ هما خبران.

من أحوال الكفار:

﴿ قَالَ ﴿﴾ كتب مفصلاً اتباعاً لمصحف عثمان رضي الله عنه ﴿﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ ﴿﴾ نحوك

(١) وكل إفراغ متعمد للشهوة بغير طريق الزواج المشروع، وإذا حرم ذلك فكل ما يؤدي إلى الحرام فهو حرام.

﴿مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرَهُمْ يَحْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يَوْمَعُدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يُخْرَجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾

معمول ﴿مُهْطِعِينَ﴾ أي: مسرعين. حال من ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ عن يمين النبي ﷺ وعن شماله ﴿عِزِينَ﴾ حال. أي: فرقا شتى. جمع: عِزَّة، وأصلها: عِزْوَةٌ، كأن كل فرقة تعتزي إلى غير مَنْ تعتزي إليه الأخرى، فهم مفترقون. كان المشركون يحتفون حول النبي ﷺ حِلَقًا حِلَقًا، وَفِرَقًا فِرَقًا، يستمعون ويستتهزئون بكلامه، ويقولون: إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم؛ فنزلت: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ كالمؤمنين [ذكره الواحدي بدون إسناد] ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ أي: من النطفة المَذْرُوعَة، ولذلك أُبْهِمَ إشعارًا بأنه منصب يُسْتَحْيَا من ذكره. فمن أين يتشرفون ويدعون التقدّم، ويقولون: لندخل الجنة قبلهم؟ أو معناه: إنا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بني آدم كلهم، ومن حكمنا أن لا يدخل أحد الجنة إلا بالإيمان، فَلِمَ يطمع أن يدخلها مَنْ لا إيمان له؟ ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ﴾ مطالع الشمس ﴿وَالْمَغْرِبِ﴾ ومغارها ﴿إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ على أن نهلكهم ونأتي بخلق أمثل منهم وأطوع لله ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ بعاجزين ﴿فَذَرَهُمْ﴾ فدع المكذبين ﴿يَحْضُوا﴾ في باطلهم ﴿وَيَلْعَبُوا﴾ في دنياهم ﴿حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يَوْمَعُدُونَ﴾ فيه العذاب ﴿يَوْمَ﴾ بدل من ﴿يَوْمَهُمْ﴾ ﴿يُخْرَجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿سِرَاعًا﴾ جمع: سريع. حال. أي:

﴿كَانَهُمْ إِلَىٰ نُصْبٍ يُؤْفُضُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرَهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذَلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

إلى الداعي ﴿كَانَهُمْ﴾ حال ﴿إِلَىٰ نُصْبٍ﴾ هو كل ما نصب وعبد من دون الله ﴿يُؤْفُضُونَ﴾ يسرعون ﴿خَشِيعَةً﴾ حال من ضمير ﴿يَجْرُونَ﴾ أي: ذليلة ﴿أَبْصَرَهُمْ﴾ يعني: لا يرفعونها لذلتهم ﴿تَرْهَقُهُمْ ذَلَّةٌ﴾ يغشاهم هوان ﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ في الدنيا، وهم يكذبون به.

من الأسرار البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿تَنْجُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ إِلَيْهِ﴾ ذكر الخاص بعد العام تشبيهاً لفضله وتشريعاً له.

- في قوله تعالى: ﴿بَعِيدًا﴾ و﴿قَرِيبًا﴾، وقوله تعالى: ﴿الْيَمِينِ﴾ و﴿الشِّمَالِ﴾، وقوله تعالى: ﴿الْمَشْرِقِ﴾ و﴿الْمَغْرِبِ﴾ طباق.

- في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْأَهْلِ﴾ تشبيه مرسل لحذف وجه الشبه وهو التلون.

- في قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ تشبيه مرسل لحذف وجه الشبه وهو التطاير.

- في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾ ﴿١١﴾ وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا... ﴿١٤﴾ عموم بعد خصوص لبيان هول الموقف.

- في قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ مقابلة لطيفة.

- في قوله تعالى: ﴿أَطِيعْ كُلَّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ أَن يَدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ استفهام إنكاري للتقريع والتوبيخ.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

- ١- عذاب الله واقع حتمًا بالكفار في الآخرة، لا يدفعه عنهم أحد.
- ٢- التحلي بالصبر الجميل، وهو الذي لا جزع فيه ولا شكوى لغير الله.
- ٣- مَنْ أدبر عن الطاعة وأعرض عن الإيمان وجمع المال ولم يُؤدِّ حقَّ الله فيه كان أهلًا لجهنم التي تتلظى نيرانها.
- ٤- أداء الصلوات الخمس في أوقاتها والمواظبة على ذلك.
- ٥- أداء الزكاة والواجبات المالية.
- ٦- لا ينبغي لأحدٍ وإن بالغ في الاجتهاد والطاعة أن يأمن عذاب الله، وينبغي أن يكون متأرجحًا بين الخوف والرجاء.
- ٧- العفة والبعد عن الفاحشة.
- ٨- حرمة نكاح المتعة، واللواط، ووطء البهائم، والاستمناء باليد.
- ٩- أداء الشهادة بحق بلا ميل إلى قريب وشريف، وبلا ترجيح للقوي على الضعيف، إظهارًا للصلابة في الدين، ورغبة في إحياء حقوق المسلمين.
- ١٠- الجنة لمن آمن وعمل صالحًا ونال رحمة الله، ولا فضل للكفار يستوجبون به جنة الله.

الأسئلة

س ١: من السائل في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾؟ وماذا سأل؟ ولم عُدي الفعل ﴿سَأَلَ﴾ بالباء؟ وما معنى ﴿دَافِعٌ﴾؟ وبم يتصل ﴿مِنَ اللَّهِ﴾؟ وما المعنى؟ وما المراد بالمعارج؟ وما مفرده؟ وما معنى المفرد؟ وما المراد بالروح هنا؟ ولم خصه بالذكر؟

س ٢: إلام يعود الضمير في قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ﴾؟ وبم يتصل ﴿فِي يَوْمٍ﴾؟ وما المعنى؟ وهل العدد ﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ حقيقي أم مجازي؟ وبم تعلق ﴿فَاصْبِرْ﴾؟ ولماذا؟ وما الصبر الجميل؟

س ٣: ما المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾. ﴿وَنَرْنَهُ قَرِيبًا﴾؟ وبم نصب ﴿يَوْمٌ﴾؟ وما المهل؟ وما السر البلاغي في الآية؟.

س ٤: ما المراد بالإنسان في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾؟ وما الهلع؟ وما المراد بالشر والخير هنا؟ وما معنى ﴿دَائِمُونَ﴾؟ وما الحق المعلوم؟ وما المراد بالسائل والمحروم؟ وما معنى ﴿مُشْفِقُونَ﴾؟

س ٥: ما معنى «قَبْلَكَ»؟ وما معنى «مُهْطِعِينَ»؟ وما إعرابه؟ وما المراد بقوله تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾؟ وما مفرد ﴿عِزِينَ﴾؟ وما سبب نزول الآيتين؟

س ٦: ما السر البلاغي في ذكر الروح بعد الملائكة مع أنه من جنسها؟

س ٧: ما المستفاد من السورة الكريمة؟.

سورة (نوح) ﷻ

مكية وهي ثمان وعشرون آية

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١ ﴾ قَالَ يَفْقَهُوا إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ۝٣ يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَوِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

إرسال (نوح) عليه السلام إلى قومه:

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ ﴾ خوف. أصله: بأن أنذر، فحذف الجار وأوصل الفعل، ومحله عند الخليل: جر، وعند غيره: نصب، أو: «أن» مفسرة^(١) بمعنى أي؛ لأن في الإرسال معنى القول ﴿ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ عذاب الآخرة أو الطوفان ﴿ قَالَ يَقُولُ ﴾ أضافهم إلى نفسه: إظهاراً للشفقة ﴿ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ مخوف ﴿ مُّبِينٌ ﴾ أبين لكم رسالة الله بلغة تعرفونها ﴿ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ وحّدوه. و«أن» هذه نحو ﴿ أَنْ أَنْذِرْ ﴾ في الوجهين ﴿ وَأَتَّقُوهُ ﴾ واحذروا عصيانه ﴿ وَأَطِيعُوا ﴾ فيما أمركم به وأنهاكم عنه، وإنما أضافه إلى نفسه؛ لأن الطاعة قد تكون لغير الله تعالى بخلاف العبادة ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ جواب الأمر ﴿ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾ ﴿ مِّنْ ﴾ هنا: للبيان، كقوله ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾^(٢)، أو للتبعض؛ لأن ما يكون بينه وبين الخلق يؤاخذ به بعد الإسلام كالقصاص وغيره^(٣) ﴿ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ وهو وقت موتكم ﴿ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ ﴾ أي: الموت ﴿ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أي: لو كنتم

(١) بكسر السين المشددة

(٢) سورة الحج. الآية: ٣٠

(٣) وهذه مسألة خلافية والراجح أن الإسلام يجب ما قبله.

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴿٨﴾ ﴾

تعلمون ما يحلُّ بكم من الندامة عند انقضاء أجلكم لآمتتم. وقيل: إنهم كانوا يخافون على أنفسهم الإهلاك من قومهم بإيمانهم وإجابتهم لنوح عليه السلام، فكأنه عليه السلام آمنهم من ذلك ووعدهم أنهم بإيمانهم يبقون إلى الأجل الذي ضرب لهم لو لم يؤمنوا، أي: إنكم إن أسلمتم بقيتم إلى أجل مسمى آمنين من عدوكم ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ دايبًا بلا فتور ﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴾ عن طاعتك، ونسب ذلك إلى دعائه لحصول الفرار عنده، وإن لم يكن الدعاء سببًا للفرار في الحقيقة، وهو كقوله: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ ﴾ ^(١) والقرآن لا يكون سببًا لزيادة الرجس. وكان الرجل يذهب بابنه إلى نوح عليه السلام فيقول: احذر هذا، فلا يغرنك، فإن أبي قد وصاني به ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ ﴾ إلى الإيمان بك ﴿ لِتَغْفِرَ لَهُمْ ﴾ أي: ليؤمنوا فتغفر لهم، فاكتمى بذكر المسبب ﴿ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ﴾ سدوا مسامعهم لئلا يسمعوا كلامي ﴿ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ ﴾ وتغطوا بثيابهم لئلا يبصروني كراهة النظر إلى وجه مَنْ ينصحهم في دين الله ﴿ وَأَصْرُوا ﴾ وأقاموا على كفرهم ﴿ وَأَسْتَكَبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾ وتعظموا عن إجابتي، وذكرُ المصدر دليل على فرط استكبارهم ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴾ مصدر في موضع الحال. أي: مجاهرًا، أو مصدر: دعوتهم، كقعد القرفُصاء؛ لأن الجهار أحد نوعي الدعاء يعني أظهرت

(١) سورة التوبة. الآية: ١٢٧.

﴿ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ (٩) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ، كَانَتْ غَفَارًا ﴿١٠﴾
يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمِدَّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهْرًا
﴿ ١٢ ﴾

لهم الدعوة في المحافل ﴿ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ أي: خلطت دعاءهم بالعلانية بدعاء السر. فالحاصل: أنه دعاهم ليلاً ونهاراً في السر، ثم دعاهم جهاراً، ثم دعاهم في السر والعلن. وهكذا يفعل الأمر بالمعروف يبتدئ بالأهون، ثم بالأشدّ فالأشدّ. فافتتح بالمناصحة في السر، فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة، فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الإسرار والإعلان. و«ثم» تدل على تباعد الأحوال؛ لأن الجهار أغلظ من الإسرار، والجمع بين الأمرين أغلظ من أفراد أحدهما.

من فوائد الاستغفار:

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ﴾ من الشرك؛ لأن الاستغفار: طلب المغفرة، فإن كان المستغفر كافراً فهو من الكفر، وإن كان عاصياً مؤمناً فهو من الذنوب ﴿ إِنَّهُ، كَانَتْ غَفَارًا ﴾ لم يزل غفاراً لذنوب من ينيب إليه ﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ ﴾ المطر ﴿ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾ كثيرة الدرور^(١)، ومفعال يستوي فيه المذكر والمؤنث ﴿ وَيُمِدَّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ﴾ يزدكم أموالاً وبنين ﴿ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ ﴾ بساتين ﴿ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهْرًا ﴾ جارية لمزارعكم وبساتينكم، وكانوا يحبون الأموال والأولاد؛ فحرّكوا بهذا على الإيمان. وعن عمر - رضي الله تعالى عنه -: أنه خرج يستسقي فما زاد على الاستغفار؛ فقليل له: ما رأيك استسقيت! فقال: لقد استسقيت بمجاديع^(٢) السماء التي يستنزل به المطر. شبّه عمر الاستغفار بالأنواء الصادقة التي لا

(١) كثرة نزول المطر.

(٢) وفي المعجم المجروح خشبة في رأسها خشبتان معترضتان يسط بها الشراب، جمعها: مجاديع.

﴿ مَا لَكُمْ لَا نَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ ١٣ ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ ١٤ ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ ١٥ ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ ١٦ ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ ١٧ ﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ ١٨ ﴿

تخطيء، وقرأ الآيات. وعن الحسن: أن رجلاً شكاً إليه الجذب؛ فقال: استغفر الله، وشكاً إليه آخر الفقر، وآخر قلة النسل، وآخر قلة ريع أرضه؛ فأمرهم كلهم بالاستغفار؛ فقال له الربيع بن صبيح: أتاك رجال يشكون أبواباً فأمرتهم كلهم بالاستغفار؛ فتلا الآيات ﴿ مَا لَكُمْ لَا نَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ لا تخافون الله عظمة ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ في موضع الحال، أي: ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه، وهي حال موجبة للإيمان به؛ لأنه خلقكم أطواراً، أي: تارات وكررات، خلقكم أولاً نظفاً ثم خلقكم علقاً، ثم خلقكم مضغاً، ثم خلقكم عظاماً ولحمًا. نبههم أولاً على النظر في أنفسهم؛ لأنها أقرب، ثم على النظر في العالم وما سوى فيه من العجائب الدالة على الصانع بقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ بعضاً على بعض ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾ أي: في السموات، وهو في السماء الدنيا؛ لأن بين السماوات ملابساً من حيث إنها طباق، فجاز أن يقال فيهن كذا وإن لم يكن في جميعهن، كما يقال في المدينة كذا، وهو في بعض نواحيها ﴿ وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ مصباحاً يبصر أهل الدنيا في ضوئها كما يبصر أهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون إلى إبصاره وضوء الشمس أقوى من نور القمر ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ أي: أنشأكم. استعير الإنبات للإنشاء ﴿ نَبَاتًا ﴾ فنبت نباتاً ﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ ﴾ بعد الموت ﴿ وَيُخْرِجُكُمْ ﴾ يوم القيامة ﴿ إِخْرَاجًا ﴾ أكدته

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١١﴾ لِيَسْئَلُوكُمُوهَا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّي نَسِيتُ صَوْنِي وَأَتَّبَعُوا مِنْ لَدُنِّي مَا لَهُ، وَوَلَدُهُ: إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكْرُوهَا مَكْرًا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ الْهَتَكُمُ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًا وَلَا سَوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾

بالمصدر أي: أي إخراج ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴾ ميسوطة ﴿ لِيَسْئَلُوكُمُوهَا ﴾ لتتقلبوا عليها كما يتقلب الرجل على بساطه ﴿ سُبُلًا ﴾ طرقًا ﴿ فِجَاجًا ﴾ واسعة أو مختلفة.

عصيان قوم نوح وهلاكهم:

﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّي نَسِيتُ صَوْنِي ﴾ فيما أمرتهم به من الإيمان والاستغفار ﴿ وَأَتَّبَعُوا ﴾ أي: السفلة والفقراء ﴿ مِنْ لَدُنِّي زِدَهُ مَا لَهُ، وَوَلَدُهُ ﴾ أي: الرؤساء وأصحاب الأموال والأولاد ﴿ إِلَّا خَسَارًا ﴾ في الآخرة ﴿ وَمَكْرُوهَا ﴾ معطوف على: ﴿ لَدُنِّي زِدَهُ ﴾. وجمع الضمير وهو راجع إلى «من»؛ لأنه في معنى الجمع. والماكرون: هم الرؤساء، ومكرهم: احتياهم في الدين، وكيدهم لنوح، وتحريض الناس على أذاه، وصددهم عن الميل إليه ﴿ مَكْرًا كَبِيرًا ﴾ أي: عظيمًا ﴿ وَقَالُوا ﴾ أي: الرؤساء لسفلتهم ﴿ لَا نَذَرُنَّ الْهَتَكُمُ ﴾ على العموم. أي: عبادتها ﴿ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًا ﴾ هو صنم على صورة رجل ﴿ وَلَا سَوَاعًا ﴾ هو على صورة امرأة ﴿ وَلَا يَغُوثَ ﴾ هو على صورة أسد ﴿ وَيَعُوقَ ﴾ هو على صورة فرس وهما لا ينصرفان للتعريف ووزن الفعل إن كانا عربيين، وللتعريف والعجمة إن كانا أعجميين ﴿ وَنَسْرًا ﴾ هو على صورة نسر. أي: هذه الأصنام الخمسة على الخصوص، وكأنها كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم، فخصوها بعد العموم. وقيل: هي أسماء رجال صالحين كان

﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾ (٢٤) ﴿ مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴾ (٢٥) ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ (٢٦) ﴿ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ ﴾

الناس يقتدون بهم بين آدم ونوح، فلما ماتوا صوروهم ليكون ذلك أدعى لهم إلى العبادة، فلما طال الزمان، قال لهم إبليس: إنهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم ﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا ﴾ أي: الأصنام، كقوله: ﴿ إِنَّهُمْ أَضَلَّلَنَّا ﴾ (١) ﴿ كَثِيرًا ﴾ من الناس أو الرؤساء ﴿ وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ ﴾ عطف على ﴿ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي ﴾ على حكاية كلام نوح ﷺ بعد ﴿ قَالَ ﴾ وبعد الواو النائية عنه، ومعناه: ﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي ﴾ وقال ﴿ وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ ﴾ أي: قال هذين القولين. وهما في محل النصب؛ لأنها مفعولا ﴿ قَالَ ﴾ ﴿ إِلَّا ضَلَالًا ﴾ أي: هلاكا، كقوله: ﴿ وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا ﴾ (٢) ﴿ مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ ﴾ أي: ذنوبهم ﴿ أُغْرِقُوا ﴾ بالطوفان ﴿ فَأَدْخَلُوا نَارًا ﴾ عظيمة. وتقديم ﴿ مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ ﴾ لبيان أنه لم يكن إغراقهم بالطوفان وإدخالهم في النيران إلا من أجل خطيئاتهم. وأكد هذا المعنى بزيادة «ما». وكفى بها مزجرة لمرتكب الخطايا؛ فإن كُفِّرَ قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم وإن كانت كُبراهن. والفاء في ﴿ فَأَدْخَلُوا ﴾ للإعلام بأنهم عذبوا بالإحراق عقيب الإغراق، فيكون دليلاً على إثبات عذاب القبر ﴿ فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴾ ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ أي: أحدًا يدور في الأرض ﴿ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ ﴾ ولا تهلكهم

(١) سورة إبراهيم. الآية: ٣٦.

(٢) سورة نوح. الآية: ٢٨.

﴿يُضِلُّوْا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوْا اِلَّا فَاۡجِرًا كَفَّارًا﴾ (٢٧) رَبِّ اَغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ
بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تُزِدِ الظَّالِمِيْنَ اِلَّا نَبَارًا ﴿٢٨﴾

﴿يُضِلُّوْا عِبَادَكَ﴾ يدعوهم إلى الضلال ﴿وَلَا يَلِدُوْا اِلَّا فَاۡجِرًا كَفَّارًا﴾ إلا من
إذا بلغ فجر وكفر. وإنما قال ذلك لأن الله تعالى أخبره بقوله: ﴿لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ
قَوْمِكَ اِلَّا مَنْ قَدْ اٰمَنَ﴾ (١) ﴿رَبِّ اَغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ وكانا مسلمين. وقيل: هما
آدم وحواء ﴿وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي﴾ منزلي أو مسجدي أو سفيتي ﴿مُؤْمِنًا﴾؛
لأنه علم أن مَنْ دخل بيته مؤمنًا لا يعود إلى الكفر ﴿وَلِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ إلى
يوم القيامة. خصَّ أولاً مَنْ يتصل به؛ لأنهم أولى وأحق بدعائه ثم عم المؤمنين
والمؤمنات، ﴿وَلَا تُزِدِ الظَّالِمِيْنَ﴾ أي: الكافرين ﴿اِلَّا نَبَارًا﴾ هلاكًا.

من الأسرار البلاغية:

- بين قوله تعالى: ﴿اَعْلَنْتُ﴾ و﴿وَأَسْرَرْتُ﴾، وقوله ﴿جِهَارًا﴾ و﴿اِسْرَارًا﴾،
وقوله ﴿لَيْلًا﴾ و﴿وَنَهَارًا﴾، وقوله ﴿يُعِيذُكُمْ﴾ و﴿وَيُخْرِجُكُمْ﴾ طباق.
- في قوله تعالى: ﴿جَعَلُوْا اَصْبَعَهُمْ فِىْ اٰذَانِهِمْ﴾ مجاز مرسل إذ المراد رؤوس
الأصابع، فهو من إطلاق الكل وإرادة البعض.
- في قوله تعالى: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾ مجاز مرسل إذ المراد بالسماء هنا المطر،
وعلاقته المحلية؛ لأن المطر ينزل من السماء.
- في قوله تعالى: ﴿وَاللّٰهُ اَنْبَتَكُمْ مِّنَ الْاَرْضِ نَبَاتًا﴾ استعارة تبعية شبه إنشاءهم
بالنبات الذي تخرجه الأرض، واشتق من لفظ النبات ﴿اَنْبَتَكُمْ﴾ على طريق
الاستعارة التبعية.

(١) سورة هود. الآية: ٣٦.

- ذكر المصدر للتأكيد في قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَكَبرُوا أَسْتَكْبَارًا﴾، و﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ

إِسْرَارًا﴾ و﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾.

- ذكر الخاص قبل العام في قوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ

بَيْتِي مَوْمِنًا وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

- ١- حتمية الموت وأنه واقع لا محالة.
- ٢- مكث نوح عليه السلام في دعوة قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له طوال ألف سنة إلا خمسين عاما.
- ٣- الاشتغال بطاعة الله وكثرة الاستغفار سبب في زيادة البركة والنماء، وانفتاح أبواب الخيرات، وإدرار الأمطار، وزيادة الغلال، ووفرة الثمار.
- ٤- إقامة الأدلة على وجود الله وتوحيده وقدرته وعظمته بالنظر في النفس البشرية، والعالم العلوي من السموات والشموس والأقمار، والعالم السفلي من التذكير بكنوز الأرض وخيراتها من معادن ونباتات وحيوانات.
- ٥- خطايا وذنوب قوم نوح هي السبب في الإغراق بالطوفان ودخول نار جهنم بعد إغراقهم، فلم يجدوا حينئذ أحدا يمنعهم من عذاب الله.

الأسئلة

س ١: ما معنى ﴿أَنْ أُنذِرَ﴾؟ وما المراد بالعذاب الأليم؟ ولم أضافهم إلى نفسه في قوله ﴿يَقُومُ﴾؟ وما معنى ﴿مُيِّنٌ﴾؟ وما المراد بقوله تعالى: ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُونَ﴾؟.

س ٢: ما معنى ﴿أَسْتَغْفِرُوا﴾؟ ولماذا؟ وما معنى ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾؟ وما البلاغة فيه؟ وما معنى ﴿مِدْرَارًا﴾؟ ولم عبر عن المؤنث بالذكر؟ وما معنى ﴿جَنَّتْ﴾؟ اذكر فوائد الاستغفار، وما معنى ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾؟ ولماذا نسب الفرار إلى دعاء نوح عليه السلام؟

س ٣: ما معنى ﴿إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾؟ ومن الذين ﴿أَتَّبَعُوا﴾؟ ومن المراد بـ ﴿مَنْ لَّمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خُسَارًا﴾؟ ولم جمع الضمير في ﴿وَمَكْرُوا﴾؟ ومن الماكرون؟ وما مكرهم؟ وما معنى ﴿كُنَارًا﴾؟

س ٤: ما المراد بقوله: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾؟ وما إعرابه؟ وما معنى ﴿ضَلَلًا﴾؟ وما معنى ﴿خَطِئْتَنِيهِمْ﴾؟ وبم أغرقوا؟ ولم قدم ﴿مِمَّا خَطِئْتَنِيهِمْ﴾؟ وما الذي تشير إليه الآية؟

س ٥: لماذا دعا نبي الله نوح على قومه بالهلاك؟ وما الدليل؟

س ٦: من المقصود بقوله ﴿وَلِوَالِدَيْ﴾؟ وما المراد بقوله ﴿بَيْتِي﴾؟ وما الحكمة من ترتيب المدعو لهم؟ وما معنى ﴿نَبَارًا﴾؟

س ٧: ما السر البلاغي في قوله ﴿رَبِّ أَعْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾؟

س ٨: ما المستفاد من السورة الكريمة؟

سورة (الجن)

(مكية وهي: ثمان وعشرون آية)

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدًّا رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَحِيبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ ﴾

إيمان الجن بالقرآن:

﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لأمتك ﴿ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ﴾ أَنَّ الأمر والشأن ﴿ اسْتَمَعَ نَفَرٌ ﴾ جماعة من الثلاثة إلى العشرة ﴿ مِّنَ الْجِنِّ ﴾ جن نصيين، [وهي مدينة تقع شمال بلاد الشام، اجتمع وفد منها بالنبي ﷺ، وقرأ عليهم القرآن]، ﴿ فَقَالُوا ﴾ لقومهم حين رجعوا إليهم من استماع قراءة النبي ﷺ في صلاة الفجر: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ عجيبيًا، بديعًا، يختلف عن سائر الكتب في حسن نظمه، وصحة معانيه. والعجب: ما لم تألفه عادة الناس، وهو مصدر وُضع موضع العجيب.

﴿ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ﴾ يدعو إلى الصواب، أو إلى التوحيد والإيمان ﴿ فَآمَنَّا بِهِ ﴾ بالقرآن، ولما كان الإيمان بالقرآن إيمانًا بالله، وبوحدانيته، وبراءة من الشرك قالوا: ﴿ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ من خلقه معه، وجاز أن يكون الضمير في ﴿ بِهِ ﴾ لله تعالى؛ لأن قوله ﴿ بِرَبِّنَا ﴾ يُفسِّره ويدل عليه.

﴿ وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدًّا رَبِّنَا ﴾ عظمة ربنا، يقال: جد فلان في عيني، أي: عظم ومنه قول أنس: «كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جدًّا فينا»^(١)، أي: عظم في عيوننا ﴿ مَا اتَّخَذَ صَحِيبَةً ﴾ زوجة ﴿ وَلَا وَلَدًا ﴾ كما يقول كفار الجن والإنس.

(١) رواه أحمد.

﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ ٤ ﴿وَأَنَا ظَنْنَا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ٥ ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ ٦ ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ ٧ ﴿

﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ جاهلنا، فهي عامة، أو إبليس خاصة؛ إذ ليس فوقه سَفِيهٌ.

﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ كفرًا، لبعده عن الصواب، من شَطَّت الدَّارُ، أي: بَعَدَتْ.

وقيل: ﴿شَطَطًا﴾ أي: قولًا يبتعد فيه قائله عن الحق، وهو نسبة الصاحبة والولد إلى الله سبحانه، والشَّطَطُ: مجاوزة الحدِّ في الظلم وغيره.

﴿وَأَنَا ظَنْنَا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ قولًا كذبًا أو مكذوبًا فيه، ويجوز أن يكون منصوبًا على المصدرية؛ إذ الكذبُ نوعٌ من القول، أي: كان في ظننا أن لَّنْ يكذب على الله أحدٌ بنسبة الصاحبة والولد إليه، فكنَّا نُصَدِّقُهُمْ فيما أضافوا إليه، حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم. كان الرجل من العرب إذا نزل بمخوفٍ من الأرض قال: أعود بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه - يريد كبير الجن - فقال: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ﴾ أي: زاد الإنسُ الجنَّ باستعاذتهم بهم ﴿رَهَقًا﴾ طغيانًا وسفهاً، وكبيرًا بأن قالوا: سُدْنَا الْجِنَّ وَالْإِنسَ، أو المعنى: فزاد الجنُّ الإنسَ ﴿رَهَقًا﴾ إثمًا؛ لاستعاذتهم بهم، وأصل الرَّهَقُ: إتيان المحذور.

من أفعال الجن وعقائدهم:

﴿وَأَنَّهُمْ﴾ وأنَّ الجنَّ ﴿ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ بعد الموت، أي: أن الجنَّ كانوا ينكرون البعث كإنكاركم، ثم بسماع القرآن اهتدوا، وأقروا بالبعث، فهلاً أقررتهم كما أقروا.

﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾ (٨) ﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدَ اللَّسْمِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَصَدًا﴾ (٩)

﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ طلبنا بلوغ السماء، واستماع كلام أهلها.

واللَّمَسُ: المُسُّ، فاستعير للطلب؛ لأنَّ الماسَّ طالبٌ يريد المعرفة ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾ جَمْعًا أقوياء من الملائكة يحرسون، جمع: حارس، ونُصِبَ على التمييز.

وقيل: الحرس اسم مُفْرَد في معنى الجمع أي: الحُرَّاس، كالخادم في معنى الخُدَّام، ولذا وُصِفَ بشديد، مراعاة للفظ، ولو نُظِرَ إلى معناه لقليل: شَدَادًا ﴿وَشُهَبًا﴾ جمع: شهاب: أي كواكب مضيئة ﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا﴾ مِنَ السَّمَاءِ قبل هذا ﴿مَقْعِدَ اللَّسْمِ﴾ لاستماع أخبار السماء، يعني: كُنَّا نَجِدُ بعض السماء خالية من الحُرَّاس والشُّهَب قبل مبعث النبي ﷺ ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ﴾ يريد الاستماع ﴿الْآنَ﴾ بعد المبعث ﴿يَجِدْ لَهُ﴾ لنفسه ﴿شُهَابًا رَصَدًا﴾ صفة لـ ﴿شُهَابًا﴾، بمعنى: الرَّاصِد، أي: يجد شهابًا راصدًا له ولأجله.

أو هو اسم جمع للرَّاصِد، على معنى: ذوي شهاب راصدين بالرَّجم، وهم الملائكة الذين يرمونهم بالشُّهَب، ويمنعونهم من الاستماع.

والجمهور على أنَّ رجم الملائكة للشياطين لم يكن قبل مبعث محمد ﷺ. وقيل: كان الرَّجم في الجاهلية، ولكنَّ الشياطين كانت تسترق السمع في بعض الأوقات، فمُنِعوا من الاستراق أصلاً بعد مبعث النبي ﷺ.

﴿ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ (١٠) ﴿ وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا ﴾ (١١) ﴿ وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا ﴾ (١٢) ﴿ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ ءَأَمَّنَّا بِهِ ؕ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ ؕ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾ (١٣)

﴿ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ ﴾ عذاب ﴿ أَرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ بعدم استراق السمع ﴿ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ خيرًا ورحمةً.

﴿ وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ ﴾ الأبرار المتقون ﴿ وَمِنَّا ﴾ قوم ﴿ دُونَ ذَلِكَ ﴾ فحذف الموصوف، وهم المقتصدون في الصلاح غير الكاملين فيه، أو أرادوا بقولهم ﴿ دُونَ ذَلِكَ ﴾ أي: غير الصالحين.

﴿ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا ﴾ بيان للقسمة المذكورة، أي: كنَّا أصحاب مذاهب متفرقة، أو أديان مختلفة، والقِدْدُ: جمع: قِدَّة، وهي القطعة، من: قَدَدْتُ السير؛ أي: قطعته. ﴿ وَأَنَا ظَنَنَّا ﴾ أيقنَّا ﴿ أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ ﴾ لن نفوته ﴿ فِي الْأَرْضِ ﴾ حال، أي: لن نعجزه كائنين ﴿ فِي الْأَرْضِ ﴾ أينما كنَّا فيها ﴿ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا ﴾ مصدر في موضع الحال، أي: ﴿ وَلَنْ نُعْجِزَهُ ﴾ هارين من الأرض إلى السماء، وهذه صفة الجن وما هم عليه من أحوالهم وعقائدهم.

جزاء المؤمنين والمكذابين من الجن:

﴿ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ ﴾ القرآن ﴿ ءَأَمَّنَّا بِهِ ﴾ بالقرآن أو بالله ﴿ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ ؕ فَلَا يَخَافُ ﴾ أي فهو لا يخاف، مبتدأ وخبر ﴿ بَخْسًا ﴾ نقصًا من ثوابه ﴿ وَلَا رَهَقًا ﴾ أي: ولا ترهقه ذلَّة من قوله: ﴿ وَتَرَهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ (١) وقوله: ﴿ وَلَا يَرَهُقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ (٢) وفيه دليل على أنَّ العمل ليس من الإيمان.

(١) سورة يونس. الآية: ٢٧.

(٢) سورة يونس. الآية: ٢٦.

﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ﴾
 ﴿أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ
 مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ﴾

﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ سيدنا محمد ﷺ إلى الصلاة، وتقدير الكلام: وأوحى إليّ أيضًا أنه لما قام عبد الله ﴿يَدْعُوهُ﴾ يعبد، ويقرأ القرآن، ولم يقل: نبيُّ الله، أو رسوله؛ لأنَّ وصف العبودية أحبُّ إلى النبي ﷺ، ولأنَّه لما كان واقعًا في كلامه عن نفسه جيء به على سبيل التواضع ﴿كَادُوا﴾ كاد الجنُّ ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ جماعاتٍ، جمع لبدة، وذلك تعجبًا ممَّا رأوا من عبادته، واقتداء أصحابه به، وإعجابًا بما تلاه من القرآن؛ لأنَّهم رأوا ما لم يروا مثله من قبل.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾ وحده ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ في العبادة.

لا يملك النفع والضّر إلا الله:

﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾ مضرّة ﴿وَلَا رَشَدًا﴾ نفعًا، يعني لا أستطيع أن أضركم وأن أنفعكم؛ لأنَّ الضّر والنّافع هو الله.

﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾ لن يدفع عني عذابه أحدٌ إن عصيته، كقول صالح عليه السلام: ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ ﴿١﴾ ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ مُلتجأً ألتجئ إليه.

﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ﴾ استثناءً من قوله: ﴿لَا أَمْلِكُ﴾، أي: ﴿لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ﴾، وعلى هذا يكون قوله: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي﴾ اعتراضًا؛ لتأكيد نفي الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه.

(١) سورة هود. الآية: ٦٣.

﴿ وَرَسَلْتَهُۥٓ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ، فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ (٢٣) حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْئَلُونَ ﴿﴾

وقيل: ﴿بَلَّغًا﴾ بدل من: ﴿مُلْتَحَدًا﴾ أي: لن أجد من دونه منجياً ﴿إِلَّا﴾ أن أبلغ عنه ما أرسلني به، يعني: لا ينجيني إلا أن أبلغ عن الله ما أرسلت به، فإن ذلك ينجيني، وقال القرّاء: هذا شرطٌ وجزاءٌ، وليس باستثناء وأن منفصلة من «لا» وتقديره: أن لا أبلغ بلاغاً؛ أي: إن لم أبلغ لم أجد من دونه ملتجأ ولا مجيراً لي، كقولك: إن لا قياماً فمعوداً، أي: إن لم يكن قيام فمعوداً، والبلاغ في هذه الوجوه بمعنى التبليغ.

﴿ وَرَسَلْتَهُۥٓ ﴾ عطف على ﴿بَلَّغًا﴾ كأنه قيل: ﴿لَا أَمَلُكَ لَكُمْ﴾ إلا التبليغ والرسالات، أي: إلا أن أبلغ عن الله، فأقول: قال الله كذا ناسباً قوله إليه، وأن أبلغ رسالته التي أرسلني بها بلا زيادة ونقصان. و﴿مَنْ﴾ ليست بصلة للتبليغ؛ لأنه يقال: بلّغ عنه لا منه، إنما هي بمنزلة ﴿مَنْ﴾ في قوله: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ (١) أي: بلاغاً كائناً من الله ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ في ترك القبول لما أنزل على الرسول؛ لأنه ذكر على أثر تبليغ الرسالة ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ جاء قوله ﴿لَهُۥ﴾ بصيغة المفرد؛ مراعاة للفظ ﴿مَنْ﴾، وجاء قوله ﴿خَالِدِينَ﴾ بصيغة الجمع؛ مراعاة لمعنى ﴿مَنْ﴾ الذي يدل على الجمع (٢).

﴿ حَتَّىٰ ﴾ يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال، كأنه قيل: لا يزالون على ما هم عليه حتى ﴿إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿فَيَسْئَلُونَ﴾ عند حلول العذاب

(١) سورة التوبة . الآية : ١ .

(٢) لأن اسم الموصول (مَنْ) يصلح للفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، ولذا يعود الضمير عليها مفرداً ومثنى وجمعاً.

﴿ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴾ ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنْ أَرْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ﴿٢٧﴾

بهم ﴿ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴾ أهُمْ أَمْ الْمُؤْمِنُونَ؟ أَي: الْكَافِرُ لَا نَاصِرَ لَهُ يَوْمَئِذٍ، وَالْمُؤْمِنُ يَنْصُرُهُ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ وَأَنْبِيَآؤُهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

لا يعلم الغيب إلا الله:

﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِي ﴾ ما أدري ﴿ أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ ﴾ من العذاب ﴿ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴾ غاية بعيدة، يعني: أنكم ستعذبون قطعًا، ولكن لا أدري أهو حالكم في وقت قريب، أم مؤجل إلى وقت بعيد.

﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ ﴾ هو خبرٌ مبتدأٌ محذوف، تقديره: هو عالم الغيب ﴿ فَلَا يُظْهِرُ ﴾ فلا يُطْلِعُ ﴿ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ من خلقه ﴿ إِلَّا مَنْ أَرْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴾ إلا رسولاً قد ارتضاه لعلم بعض الغيب؛ ليكون إخباره عن الغيب معجزةً له، فإنه يُطْلِعُهُ عَلَى غَيْبِهِ مَا شَاءَ، وَ﴿ مِنْ رَسُولٍ ﴾ بيان لـ ﴿ مَنْ أَرْتَضَى ﴾.

﴿ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ ﴾ يَدْخُلُ ﴿ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ﴾ يَدِي الرَّسُولِ ﴿ وَمَنْ خَلْفَهُ رَصَدًا ﴾ حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين، ويعصمونه من وساوسهم حتى يبلغ الوحي.

﴿ لِيَعْلَمَ ﴾ اللَّهُ ﴿ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا ﴾ أَي: الرَّسُلَ ﴿ رَسَلْتِ رَبَّهُمْ ﴾ كَامِلَةً بِلَا زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصَانٍ، إِلَى الْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ، أَي: لِيَعْلَمَ اللَّهُ ذَلِكَ بَعْدَ وَجُودِهِ كَمَا كَانَ يَعْلَمُهُ قَبْلَ وَجُودِهِ أَنَّهُ يَوْجَدُ، وَأَفْرَدَ الضَّمِيرَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ﴾ مِرَاعَاةً لِلْفِظِ

﴿وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾

﴿مَنْ أَرْزَقْنِي﴾ وجمع في ﴿أَبْلَغُوا﴾ مراعاة لمعناه ﴿وَأَحَاطَ﴾ الله ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ بما عند الرسل من العلم ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ من القطر، والرمل، وورق الأشجار، وزبد البحار، فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه؟ و﴿عَدَدًا﴾ حال، أي: وعلم كل شيء معدودًا محصورًا، أو منصوب على أنه مصدر في معنى: إحصاء.

لطيفة:

أجمع القراء على فتح الهمزة في قوله ﴿أَنَّهُ﴾؛ لأنه فاعل ﴿أُوحِيَ﴾، و﴿وَأَلُوْا سَتَقَمُوا﴾، و﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ﴾ وذلك للعطف على قوله ﴿أَنَّهُ أَسْتَمَعَ﴾ فـ (أَنْ) مخففة من الثقيلة، وأجمعوا أيضًا على فتح الهمزة في قوله: ﴿أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا﴾، لتعدي ﴿يَعْلَمُ﴾ إليها، وأجمعوا على كسر ما بعد فاء الجزاء نحو: ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ وكذلك ما بعد القول نحو ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾؛ لأنه مبتدأ محكي بعد القول.

واختلفوا في فتح الهمزة وكسرها من قوله: ﴿وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمُونَ﴾ فقرأها ابن عامر، وحفص، وحمزة، والكسائي، بفتح الهمزة، عطفًا على قوله ﴿أَنَّهُ أَسْتَمَعَ﴾ أو عطفًا على محلّ الجار والمجرور في قوله ﴿فَتَأْمَنَّا بِهِ﴾ تقديره: صدّقناه، وصدّقنا أنه تعالى جدُّ ربِّنا و﴿وَأَنَّهُ كَانَتْ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ إلى آخرها.

وقرأ غيرهم بكسرها، عطفًا على قوله: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾ وهم يقفون على آخر

الآيات.

من الأسرار البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ مجاز مرسل؛ لأنَّ المسَّ هو اللمس، واللامس هو طالب متعرف يطلب الشيء؛ ليتعرف عليه.

- في قوله تعالى: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾
اختلاف صورة الكلام لاختلاف الأحوال؛ فعن إرادة الشرِّ جاء الفعل مبنياً للمجهول ﴿أُرِيدُ﴾ وعن إرادة الهدى والخير جاء الفعل مبنياً للمعلوم، والداعي لذلك نسبة الخير إليه سبحانه في الثانية ومنع نسبة الشرِّ إليه في الأولى وهذا من الأدب مع الله.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

- ١- عموم دعوته ﷺ للجنِّ والإنس.
- ٢- الاستعانة بالجنِّ لا تزيد صاحبها إلا عتناً ومشقةً.
- ٣- مُنِعَ الجنُّ من استراق السَّمع بعد مبعث النبي ﷺ.
- ٤- الجنُّ لا يعلمون الغيب.
- ٥- الجنُّ في أديانهم ومذاهبهم مختلفون.
- ٦- ما على الرِّسول إلا البلاغ.
- ٧- الله تعالى يعلم أمور خلقه علمًا أزليًّا قبل وقوعه، ويعلمها عند وقوعها علمًا حضورياً مشاهدًا.

الأسئلة

س ١: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾؟

س ٢: وما معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَا مُلْأَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾؟

س ٣: ما الفرق بين القاسط والمقسط؟

س ٤: ما إعراب قوله: (عددًا)؟

س ٥: ما السّر البلاغي في قوله تعالى: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾؟

س ٦: هات من السورة ما يدل على:

(أ) أن الغيب لا يعلمه إلا الله.

(ب) أن النفع والضرر بيد الله.

س ٧: اذكر ما يستفاد من السورة الكريمة.

سورة المزمل (مكية وهي: عشرون آية)

﴿بَيَّأُهَا الْمُرْزَلُ ﴿١﴾ قُرْ أَيْلًا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ ۖ أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَدِّلْ

الْقُرْآنَ ﴿﴾

ثَقُلَ الْوَحْيِ وَشَدَّتْهُ:

﴿بَيَّأُهَا الْمُرْزَلُ﴾ أي المتزمل، وهو الذي تزمل في ثيابه، أي: تلفف بها، وكان النبي ﷺ نائمًا بالليل مُتَزَمِّلًا في ثيابه، فأمره الله بالقيام للصلاة بقوله تعالى: ﴿قُرْ أَيْلًا إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿نِصْفَهُ ۖ﴾ بدل من ﴿أَيْلًا﴾ و﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ استثناءً من قوله تعالى: ﴿نِصْفَهُ ۖ﴾ تقديره: قم نصف الليل ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ من نصف الليل ﴿أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ﴾ من النصف ﴿قَلِيلًا﴾ إلى الثلث ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ على النصف إلى الثلثين، والمراد: التخيير بين أمرين، بين أن يقوم أقل من نصف الليل فقط، أو أن يختار النقصان من النصف أو الزيادة عليه، وإن جعلت قوله: ﴿نِصْفَهُ ۖ﴾ بدلًا من قوله: ﴿قَلِيلًا﴾ كان ﷺ مخيرًا بين ثلاثة أشياء: بين قيام نصف الليل تامةً، وبين قيام الناقص منه، وبين قيام الزائد عليه، ووصف النصف بالقلة - مع أنه ليس كذلك - نسبةً إلى الكُلِّ، فإطلاق لفظ القليل ينطلق على ما دون النصف، ولهذا قلنا: إذا قرأ فلان عليه ألفَ درهمٍ إلا قليلًا، فإنه يلزمه أكثر من نصف الألف.

﴿وَرَدِّلِ الْقُرْآنَ﴾ ﴿بَيْنَ وَفَصَّلْ﴾، أو: اقرأ على مهل^(١) بتبيين الحروف، وحفظ

الوقوف، وإشباع الحركات.

(١) المهل التؤدة والرفق وعدم العجلة.

﴿ تَرْتِيلاً ٤ ﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَبَتَّلْ إِلَيْهِ ﴿٨﴾

﴿ تَرْتِيلاً ﴾ هو تأكيدٌ في إيجاب الأمر به، وأنه لا بد منه للقارئ ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ ﴾ سننزل عليك ﴿ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ أي: القرآن؛ لما فيه من الأوامر، والنواهي؛ التي هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين، أو: ﴿ ثَقِيلًا ﴾ على المعارضين المعاندين، أو: كلامٌ له وزن ورُجحان، ليس بالرديء الخفيف.

﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ ﴾ قيام الليل، فهو مصدرٌ من: نشأ، إذا قام ونهض، على وزن «فاعلة» كالعافية. أو: العبادة عمومًا التي تنشأ بالليل؛ أي: تحدث فيه، أو: ساعات الليل؛ لأنها تنشأ ساعة فساعة. (هي أشد وطأً) بِكَسْرِ الْوَاوِ وَفَتْحِ الطَّاءِ وَالْمُدِّ، وهي قراءة أبي عمرو، وابن عامر، بمعنى وَفَاقًا أَي: يوافق فيها قلبُ القائم لسانه.

مذكرتي

وعن الحسن: قال أشد موافقةً بين السر والعلانية؛ لانقطاع رؤية الخلائق. وقرأ غيرهما: ﴿ وَطْأًا ﴾ أي: أثقل على المصلي من صلاة النَّهَارِ؛ لمقاومته للنوم في ذلك الوقت، من قوله ﷺ: «اللهم اشدد وطأتك على مضر»^(١).

﴿ وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾ وأشد مقلًا وأثبتُّ قراءةً؛ لهدوء الأصوات وانقطاع الحركات. ﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴾ تصرفًا، وتقلبًا في مهماتك، وشواغلك، وفرغ نفسك في الليل لعبادة ربك، أو فراغًا طويلًا لنومك وراحتك.

﴿ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ ﴾ ودُم على ذكره في الليل والنَّهَارِ، وذكر الله يتناول: التسبيح، والتهليل، والتكبير، والصلاة، وتلاوة القرآن، ودراسة العلم ﴿ وَبَتَّلْ إِلَيْهِ ﴾ انقطع

(١) رواه البخاري ومسلم.

﴿تَبَيَّلَا ۙ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ

وَأَهْجِرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾

إلى عبادته عن كل شيء، والتبُّل: الانقطاع إلى الله تعالى بالطَّمع في الخير منه دون غيره، وقيل: رفض الدنيا وما فيها، والتماس ما عند الله.

﴿تَبَيَّلَا﴾ مصدر، ولم يأت تبُّلاً على صورة الفعل ﴿وَتَبَتَّل﴾ زيادة في التأكيد، أوجيء به هكذا مراعاة لفواصل الآيات ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ بالرفع، أي: هو ربُّ، فيكون خبراً مبتدأً محذوف، أو ﴿رَبُّ﴾ مبتدأً خبره ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾. وقرأ ابن عامر وَحَمْزَةٌ وَالْكَسَائِيُّ بخفض الباء في ﴿رَبُّ﴾ على أنه بدلٌ من قوله ﴿رَبِّكَ﴾.

وقيل: مجرورٌ على القَسَمِ بإضمار حرف القسم، نحو «اللَّهِ لأفعلنَّ»، وجواب القَسَمِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، كقولك: واللَّهِ لا أحد في الدار إلا زيد.

﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ ولياً، وكفيلاً بما وعدك من النَّصر، أو: إذا علمت أنه مَلَكُ المشرق والمغرب، وأن لا إله إلا هو ﴿فَاتَّخِذْهُ﴾ كافياً لأمورك، وفائدة الفاء التَّعقيب والسُّرعة، أي: بعد أن عرفت أن تفويض الأمور إلى الواحد القهار، فلا عذر لك في الانتظار بعد الإقرار.

اللَّهُ يَتَوَلَّىٰ رَسُولَهُ ﷺ

﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ في من نسبة الصاحبة والولد، وفيك من نسبة السَّحَر والشَّعْر ﴿وَأَهْجِرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ جانبهم بقلبك، وخالفهم مع حسن المحافظة وترك المكافأة.

﴿ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النِّعْمَةِ وَمَهَلْهُمْ قَلِيلًا ﴾ (١١) إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحِمِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا
عُصْبَةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا مَهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا
إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ ﴿١٥﴾

﴿ وَذَرْنِي ﴾ أي: كلِّهم إليّ فأنا كافيهم ﴿ وَالْمُكَذِّبِينَ ﴾ رؤساء قريش، وهو
مفعول معه، ويجوز أن يكون معطوفًا على ﴿ وَذَرْنِي ﴾ أي: دعني وإياهم ﴿ أُولِي
النِّعْمَةِ ﴾ بفتح النون معناه: التَّنُّم، وبكسرهما معناه: الإِنعام ﴿ وَمَهَلْهُمْ ﴾ إمهالًا
﴿ قَلِيلًا ﴾ إلى يوم بدر، أو إلى يوم القيامة ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا ﴾ للكافرين في الآخرة
﴿ أَنْكَالًا ﴾ قيودًا ثقلاً، جمع نكل ﴿ وَحِمِيمًا ﴾ نارًا محرقة ﴿ وَطَعَامًا ذَا عُصْبَةٍ ﴾ أي:
الذي يتشبَّث في الحلقوم فلا يُساغ، يعني الضَّرِيع والزَّقوم ﴿ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ يصل
وَجَعُهُ إلى القلب.

وعن الحسن: أنه أمسى صائمًا، فأتي بطعام فعرضت له هذه الآية، فقال: ارفعه،
ووضع عنده الليلة الثانية، فعرضت له فقال: ارفعه، وكذلك الليلة الثالثة، فأخبر
ثابت البناني وغيره، فجاءوا، فلم يزلوا به حتى شرب شربةً من سويق.

من أهوال يوم القيامة:

﴿ يَوْمَ ﴾ منصوبٌ بما في ﴿ لَدَيْنَا ﴾ من معنى الفعل، أي: استقرَّ للكفار لدينا
كذا وكذا، يوم ﴿ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ ﴾ أي: تتحرك حركةً شديدةً ﴿ وَكَانَتِ الْجِبَالُ
كَيْبًا ﴾ رملاً مجتمعاً، من: كَثَب الشيء: إذا جمعه، كأنه «فعليل» بمعنى «مفعول»
﴿ مَهِيلًا ﴾ سائلاً بعد اجتماعه.

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ ﴾ يا أهل مكة ﴿ رَسُولًا ﴾ يعني: محمدًا ﷺ ﴿ شَهِدًا عَلَيْكُمْ ﴾
يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم.

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ﴾

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾ يعني موسى ﷺ ﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾ أي ذلك الرسول؛ لأنَّ النكرة إذا أعيدت معرفة كان المراد بالثاني عينَ الأول ﴿ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً ﴾ شديدًا غليظًا، وإنَّما حَصَّ موسى ﷺ وفرعون؛ لأنَّ خبرهما كان منتشرًا بين أهل مكة؛ لأنهم كانوا جيران اليهود.

﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا ﴾ هو مفعول ﴿ تَتَّقُونَ ﴾ أي: ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ ﴾ عذاب يوم كذا ﴿ إِن كَفَرْتُمْ ﴾ هنا؟
أو منصوب على الظرفية، أي: فكيف لكم التقوى في يوم القيامة إن كفرتم في الدنيا^(١).

أو منصوب بـ ﴿ كَفَرْتُمْ ﴾ على تأويل جحدتم، أي: ﴿ فَكَيْفَ ﴾ تتقون الله وتحشونه إن جحدتم يوم القيامة والجزاء؟؛ لأنَّ تقوى الله: الخوف من عقابه ﴿ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ ﴾ صفة لـ ﴿ يَوْمًا ﴾ والعائد محذوف؛ أي: فيه ﴿ شِيبًا ﴾ من هوله وشدته، وذلك حين يقال لآدم ﷺ: ﴿ قُمْ فَأَبْعَثْ بَعَثَ النَّارِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ ﴾^(٢).

﴿ شِيبًا ﴾ جمع أشيب، وقيل: هو على التمثيل للتهويل، يقال في اليوم الشديد: يوم يُشَيَّبُ نواصي الأطفال.

﴿ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ﴾ وصفٌ لليوم بالشدَّة أيضًا، أي: ﴿ السَّمَاءُ ﴾ على عظمها وإحكامها تنفطر فيه، أي: تنشقُّ، فما ظنُّك بغيرها من الخلائق؟

(١) والكلام حينئذٍ للحث على الإقلاع عن الكفر، والمعنى: إذا لم تتقوا في الدنيا فكيف تتقون يوم القيامة والراجح الإعراب الأول كما أفاده العلامة الآلوس ٢٩/١٠٩.
(٢) رواه البخاري بنحوه.

﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ (١٨) إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ، وَثُلُثَهُ، وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّنْ نَّحْضُوهُ فَنَّابَ عَلَيْكُمْ﴾

والتذكير في ﴿بِهِ﴾ فلم يقل: بها على تأويل السماء بالسقف، أو: ﴿السَّمَاءُ﴾ شيء ﴿مَنْفَطِرٌ﴾ وقوله ﴿بِهِ﴾ أي: بيوم القيامة، يعني: أنها تنفطر لشدة ذلك اليوم، وهوله؛ كما ينفطر الشيء بما يُفطر به ﴿كَانَ وَعْدُهُ﴾ المصدر مضاف إلى المفعول وهو اليوم، أو إلى الفاعل، وهو الله عز وجل ﴿مَفْعُولًا﴾ كائنًا. ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ الآيات الناطقة بالوعيد ﴿تَذَكُّرَةٌ﴾ موعظة ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ أي: فمن شاء اتعظ بها، واتخذ سبيلًا إلى الله بالتقوى والخشية.

قيام الليل دأب النبي ﷺ:

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ﴾ أقل، فاستعير الأدنى - وهو الأقرب - للأقل؛ لأنَّ المسافة بين الشئين إذا دنت قلَّ ما بينها من الفراغ، وإذا بُعدت كثر ذلك ﴿مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ﴾ بضم اللام ﴿وَنِصْفَهُ، وَثُلُثَهُ﴾ منصوبان عطفاً على قوله ﴿أَدْنَىٰ﴾، وهو مفعول ﴿تَقُومُ﴾ ﴿وَطَائِفَةٌ﴾ عطف على الضمير المستتر في ﴿تَقُومُ﴾ ﴿مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ أي: ويقوم ذلك المقدار جماعةً من أصحابك ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ أي: لا يُقدر على تقدير الليل والنهار، ولا يعلم مقادير ساعاتها إلا الله وحده، وتقديم اسمه عز وجل مبتدأً مبنياً عليه ﴿يُقَدِّرُ﴾ يشعر بالاختصاص.

ولمَّا قاموا حتى انتفخت أقدامهم نزل قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّنْ نَّحْضُوهُ﴾ لن تطبيقوا قيامه على هذه المقادير إلا بشدةٍ ومشقةٍ، وفي ذلك حرجٌ ﴿فَنَّابَ عَلَيْكُمْ﴾ فخفف

﴿فَأَقْرَهُوْا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى وَعَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَعَاخَرُونَ يَقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْرَهُوْا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ﴾

عليكم، وأسقط عنكم فرض قيام الليل ﴿فَأَقْرَهُوْا﴾ في الصلاة، ويكون الأمر للوجوب، أو: في غيرها، ويكون الأمر للندب ﴿مَا تَيَسَّرَ﴾ عليكم ﴿مِنْ الْقُرْآنِ﴾.

وقيل: أراد بالقرءان الصلاة؛ لأنه بعض أركانها، أي فصلوا ما تيسر عليكم، ولم يضعب عليكم من صلاة الليل، وهذا ناسخٌ للحكم الأول، ثم نسخ هذا بالصَّلوات الخمس.

ثم بيّن الحكمة في النسخ، وهي صعوبة القيام على المرضى والمسافرين والمجاهدين فقال: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ﴾ أي: أنه، ف ﴿أَنْ﴾ مخففة من الثقيلة، والسين بدلٌ من تخفيفها، وحذف اسمها ﴿مَرْضًى﴾ فيشق عليهم قيام الليل ﴿وَعَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يسافرون ﴿يَبْتَغُونَ﴾ حال من ضمير ﴿يَضْرِبُونَ﴾ أي: يضرَبون في الأرض مبتغين ﴿مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ رزقه بالتجارة، أو طلب العلم ﴿وَعَاخَرُونَ يَقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ سوى بين المجاهد والمُكْتَسَب الذي يتكسب رزقه بالحلال؛ لأنَّ كسبَ الحلال جهادٌ.

﴿فَأَقْرَهُوْا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ كرّر الأمر بالتيسير لشدة احتياجهم ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ المفروضة^(١) ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ الواجبة ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ﴾ بالنوافل. والقرض لغة: القَطْعُ، فالقرضُ يقطع ذلك القدرَ من ماله فيدفعه إلى غيره، وكذا المُتَصَدِّقُ يقطع ذلك القدرَ من ماله فيجعله لله تعالى، وإنَّا أضاف سبحانه القرضَ إلى نفسه؛

(١) وهذا قول كثير من المفسرين وهو مبنى على أن هذه الآية مدنية.

﴿قَرَضًا حَسَنًا وَمَا نَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَأَسْتَعْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ

عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤٠﴾

لئلا يَمَنَّ الغنيُّ على الفقير فيما يتصدق به عليه؛ وهذا لأنَّ الفقيرَ معاون له في تلك القُرْبَةِ، فلا يكون للغني عليه مِنَّةٌ، بل المنة للفقير عليه ﴿قَرَضًا حَسَنًا﴾ من الحلال مع إخلاص النية لله ﴿وَمَا نَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ﴾ أي: تجدوا ثوابه، وهو جواب الشرط؛ لأنَّ ﴿مَا﴾ شرطية ﴿عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ﴾ ممَّا خَلَفْتُمْ وتركتُمْ، فالمفعول الثاني لـ ﴿يَجِدُوهُ﴾ قوله ﴿خَيْرٌ﴾ والمفعول الأول: الضمير في ﴿يَجِدُوهُ﴾ ﴿وَأَعْظَمُ أَجْرًا﴾ وأجزل ثوابًا، ﴿وَأَسْتَعْفِرُوا﴾ من السيئات، والتقصير في الحسنات ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ يستر على أهل الذنب والتقصير ﴿رَحِيمٌ﴾ يخفف عن أهل الجهد والتوفيق.

مذكرتي
Mozkrti.com

من الأسرار البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿وَبَتَّلَ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ جاء المصدر على غير صورة الفعل، حيث إنَّ مصدر ﴿وَبَتَّلَ﴾: تبتل وليس ﴿تَبْتِيلًا﴾، وذلك لزيادة التأكيد، أو مراعاة لفواصل الآيات.

- في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي إِلَيْلٍ﴾ استعارة حيث استخدم لفظ الأدنى ومعناه الأقرب، بدلًا من لفظ الأقل؛ لأنَّ المسافة بين الشيعين إذا دنت قَلَّ ما بينها من الفراغ، وإذا بُعدت كثر ذلك.

- تقديم لفظ الجلالة في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْدِرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ يفيد اختصاص ذلك باللَّه تعالى، وأنَّه لا يقدر على تقدير الليل والنهار، ولا يعلم مقادير ساعاتها

إلا الله وحده.

- كَرَّرَ الأمر بالتيسير في قوله تعالى: ﴿فَأَقْرءُوا مَا يَتَرَمِّمُهُ﴾؛ لشدة الاحتياط من التطويل في القراءة.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

- ١- ينبغي للداعي إلى الله ألا يركن إلى الراحة كما يفعل غيره.
- ٢- ثَقُلَ الوحيُّ وشَدَّتْهُ على رسول الله ﷺ.
- ٣- أَعَدَّ اللهُ للمكذِبين برسوله ﷺ ألوان العذاب الأليم.
- ٤- ليوم القيامة أهوالٌ ينبغي الاستعداد لها.
- ٥- قيام الليل دأب الصالحين من الأنبياء وأتباعهم.

مذكرتي
Mozkrty.com

الأسئلة

- س ١: ما المراد من قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَأَلْنَا عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾؟ ولماذا كان ثقيلاً؟
وما الواجب على المسلمين تجاهه؟
- س ٢: ما المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا﴾؟
- س ٣: ما المراد بالتبتل؟ ولم جاء المصدر ﴿تَبَتُّلًا﴾ على غير صورة الفعل؟
- س ٤: ما إعراب: ﴿يَوْمًا﴾ في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا﴾؟
- س ٥: ما القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾؟
- س ٦: ما السر البلاغي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ﴾؟
- س ٧: اذكر ما يستفاد من السورة الكريمة.

مذكرتي
Mozkrtv.com

سورة المدثر

(مكية وهي ست وخمسون آية)

﴿يَتَاءَمُّ الْمَدِئْرُ (١) قُرْآنِذِرْ (٢) وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَبَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥)﴾

روى جابر أن النبي ﷺ قال: «كنت على جبل حراء فنوديت: يا محمد، إنك رسول الله، فنظرت عن يميني ويساري فلم أر شيئاً، فنظرتُ إلى فوقي، فإذا هو قاعد على عرش بين السماء والأرض - يعني الملك الذي ناداه - ، فَرُعِبْتُ ورجعتُ إلى خديجة فقلتُ: دثروني دثروني، فدثرتُه خديجة، فجاء جبريل وقرأ: ﴿يَتَاءَمُّ الْمَدِئْرُ﴾»^(١).

﴿يَتَاءَمُّ الْمَدِئْرُ﴾ أي: المتلفف بشيابه، من الدثار، وهو كل ما كان من الشياخ فوق الشُّعار، والشُّعار: هو الثوب الذي يلي الجسد.
﴿قُرْ﴾ من مضجعك، أو قم قيام عزم وتصميم، ﴿فَأَنْذِرْ﴾ فحذر الناس من عذاب الله إن لم يؤمنوا.

﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ﴾ وخصَّ ربك بالتكبير وهو التعظيم، أي: لا يكبر في قلبك غيره.

﴿وَبَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي: طهرها بالماء عن النجاسة؛ لأنَّ الصلاة لا تصح إلا بالطهارة، وهي الأولى كذلك في غير الصلاة، أو فطهر نفسك ممَّا يُسْتَقْدَرُ من الأفعال والمعائب.

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ العذاب، والمراد: ما يُؤدِّي إليه ﴿فَاهْجُرْ﴾ أي: اثبت على تركه؛ لأنَّه كان بريئاً منه.
(١) أخرجه البخاري.

﴿ وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْبِرُ ﴾ ٦ ﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ ٧ ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴾ ٨ ﴿ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ ٩
 ﴿ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ ١٠ ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ ١١ ﴿

﴿ وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْبِرُ ﴾ بالرفع، وهو منصوب المحلّ على الحال، أي: لا تعط مستكثراً، أو طالباً أكثر ممّا أعطيت، فإنّك مأمور بأجلّ الأخلاق وأشرف الآداب.

﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ ولوجه الله فاستعمل الصبر على أوامره ونواهيّه.

هول يوم القيامة

﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴾ نفخ في الصور، وهي النفخة الأولى، وقيل: الثانية.
 ﴿ فَذَلِكَ ﴾ إشارة إلى وقت النقر، وهو مبتدأ، ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ مرفوع المحلّ بدل من ذلك، ﴿ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ خبر، كأنه قيل: فيوم النقر يوم عسير، والفاء في ﴿ فَإِذَا ﴾ سببية، وفي ﴿ فَذَلِكَ ﴾ للجزاء، كأنه قيل: اصبر على أذاهم فين أيديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة أذاهم، وتلقى عاقبة صبرك عليهم، والعامل في ﴿ فَإِذَا ﴾ ما دل عليه الجزاء، أي: فإذا نقر في الناقور عَسُرَ الأمر.

﴿ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ وأكد بقوله ﴿ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾، ليؤذن بأنه يسيرٌ على المؤمنين.

تهديد ووعيد:

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ ﴾ أي: اترك أمره إليّ، يعني: - الوليد بن المغيرة -، وكان يلقب في قومه بالوحيد، وقوله: ﴿ وَمَنْ خَلَقْتُ ﴾ معطوف، أو مفعول معه ﴿ وَحِيدًا ﴾ حال من الياء في ﴿ ذَرْنِي ﴾ أي: اتركني وحدي معه فإنّي أكفيك أمره، أو من التاء في ﴿ خَلَقْتُ ﴾، أي: خلقته وحدي لم يشاركني في خلقه أحدٌ، أو من الهاء المحذوفة في ﴿ خَلَقْتُ ﴾، أو من «مَنْ» أي خلقته منفرداً بلا أهل ولا مال ثم أنعمت عليه^(١).

(١) والأخير هو الراجح حسبها عزاه العلامة الألوّس لأبي حيان، وهو المناسب للحال كما لا يخفى.

﴿ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٣﴾ وَبَيْنَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾
﴿ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا ﴿١٦﴾ سَاءَ هَقُّهُ، صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ ﴿١٧﴾

﴿ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴾ ميسوياً كثيراً، أو ممدوداً بالنماء والزيادة. وعن مجاهد: كان له مائة ألف دينار، وله أرض بالطائف لا ينقطع ثمرها.

﴿ وَبَيْنَ شُهُودًا ﴾ حضوراً معه بمكة؛ لغناهم عن السفر، وكانوا عشرة، أسلم منهم خالد وهشام وعمارة.

﴿ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴾ وبسطت له الجاه والرياسة، فأتممت عليه نعمتي الجاه والمال، واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا.

﴿ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴾ استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه، فيرجو أن أزيد في ماله وولده من غير شكر.

وقال الحسن: ﴿ أَنْ أَزِيدَ ﴾ أن أدخله الجنة فأوتيته مالاً وولداً، كما قال: ﴿ لَا وَتَيْتَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾^(١).

﴿ كَلَّا ﴾ ردع له وقطع لرجائه، أي: لا يُجمع له بعد اليوم بين الكفر والمزيد من النعم، فلم يزل بعد نزول الآية في نقصان من المال والجاه حتى هلك. ﴿ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا ﴾ القرآن ﴿ عِينِدًا ﴾ معانداً جاحداً، وهو تعليل الردع على وجه الاستئناف، كأن قائلها قال: لم لا يُزاد؟ فقيل: إنه جحد آيات المنعم، والكافر لا يستحق المزيد. ﴿ سَاءَ هَقُّهُ ﴾ سَأَغْشِيهِ ﴿ صَعُودًا ﴾ عقبة شاقة المصعد.

﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ ﴾ تعليل للوعيد، كأن الله - تعالى - عاجله بالفقر والذل بعد الغنى والعز؛ لعناده، ويُعاقبه في الآخرة بأشد العذاب؛ لبلوغه بالعناد غايته، وتسميته

(١) سورة مريم. الآية: ٧٧.

﴿وَقَدَّرَ ١٨﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ١٩ ﴿ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ٢١ ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ

﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا لِإِسْحَرٌ يُؤْتِرُ ﴿٢٤﴾

القرآن سحرًا، يعني: إنه فكر ماذا يقول في القرآن، ﴿وَقَدَّرَ﴾ في نفسه ما يقوله وهَيَّأَهُ.

﴿فَقِيلَ﴾ لعن ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ تَعَجُّبٌ من تقديره.

﴿ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ كُرِّرَ للتأكيد، و﴿ثُمَّ﴾ يُشعر بأنَّ الدعاء الثاني أبلغ من الأول.

﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ في وجوه الناس ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ قَطَّبَ ما بين عينيه، حين استعصى عليه أن يجد في القرآن مطعناً ﴿وَبَسَرَ﴾ تَغَيَّرَ وجهه خوفاً حين لم يجد ما يشفي غليله من مطعن في القرآن.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الحق ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ عنه، ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ عطف على ﴿فَكَرَّ وَقَدَّرَ﴾، والدعاء اعتراض بينهما، وإيراد ﴿ثُمَّ﴾ في المعطوفات؛ لبيان أنَّ بين الأفعال المعطوفة مدة من الزمن.

﴿فَقَالَ إِنَّ هَذَا﴾ أي: ما هذا ﴿إِلَّا إِسْحَرٌ يُؤْتِرُ﴾ سحر ماثور أي: مروى عن الأقدمين.

رُوي أنَّ الوليد قال لبني مخزوم: واللَّه لقد سمعت من محمد آناً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، إنَّ له حلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة، وإنَّ أعلاه لمثمر، وإنَّ أسفله لمُغْدِق، وإنَّه يعلو ولا يُعلَى عليه، فقالت قريش: صبأ والله الوليد، فقال: أبو جهل وهو ابن أخيه، أنا أكفيكموه، فقعد إليه حزيناً، وكَلَّمَهُ بها أحماءه، فقام الوليد فاتأهم، فقال: تزعمون أنَّ محمداً مجنون فهل رأيتموه يُخْنِقُ؟

﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ ٢٥ ﴿سَأَصْلِيهِ سَفَرٌ﴾ ٢٦ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَفَرٌ﴾ ٢٧ ﴿لَا بُقْيَ وَلَا نَذْرٌ﴾ ٢٨ ﴿لَوْاحَةٌ﴾

﴿لِلْبَشَرِ﴾ ٢٩ ﴿﴾

وتقولون: إنه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهن؟ وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط؟ وتزعمون أنه كاذب فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب؟ فقالوا في كل ذلك: اللهم لا، ثم قالوا: فما هو؟ ففكر فقال: ما هو إلا ساحر، أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه، وما الذي يقوله إلا سحر يؤثر عن مسيلمة وأهل بابل، فارتج النادي فرحاً وتفرقوا متعجبين منه^(١)..

وذكر الفاء في قوله: ﴿فَقَالَ إِنَّ هَذَا﴾ دليل على أن هذه الكلمة لما خطرت بباله نطق بها من غير تلبث.

﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ ولم يذكر حرف عطف بين هاتين الجملتين؛ لأن الثانية جرت مجرى التوكيد للأولى.

﴿سَأَصْلِيهِ﴾ سادخله، وتعرب «بدلاً» من: ﴿سَأَرْهَقُهُ، صَعُودًا﴾. ﴿سَفَرٌ﴾ اسم لجهنم، ولم ينصرف للعلمية والتأنيث.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَفَرٌ﴾ تهويل لشأنها.

﴿لَا بُقْيَ﴾ أي: هي لا تبقي لحمًا ﴿وَلَا نَذْرٌ﴾ ولا ترك عظمًا ولا تبقي شيئاً فيها إلا أهلكته.

﴿لَوْاحَةٌ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: هي لواححة ﴿لِلْبَشَرِ﴾ جمع بشرة وهي ظاهر الجلد، أي: جهنم محرقة للجلود.

(١) صححه الحاكم على شرط البخاري.

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيِّقَنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيْمَانًا وَلَا يَزَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ﴾

﴿عَلَيْهَا﴾ على سقر ﴿تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ أي: يتولى أمرها تسعة عشر ملكًا عند الجمهور، وقيل: تسعة عشر صنفاً من الملائكة.

خزنة جهنم والحكمة من ذكر عددهم:

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ﴾ أي: خزنتها. ﴿إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ لأنهم خلاف جنس المعديين، فلا تأخذهم الرأفة والرقّة بهم؛ لأنهم أشد الخلق بأسًا، فللواحد منهم قوة الثقلين.

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ تسعة عشر. ﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾ أي: ابتلاءً واختبارًا. ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيِّقَنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ لأنّ عدتهم تسعة عشر في الكتابين، فإذا سمعوا بمثلها في القرآن أيقنوا أنه مُنَزَّلٌ مِنَ اللَّهِ.



Mozkrty.com

﴿وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بمحمد، وهو عطف على ﴿لِيَسْتَيِّقَنَ﴾ ﴿إِيْمَانًا﴾ لتصديقهم بذلك كما صدّقوا سائر ما أنزل، أو يزدادوا يقينًا لموافقة كتابهم كتاب أولئك.

﴿وَلَا يَزَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ هذا عطف على ﴿لِيَسْتَيِّقَنَ﴾ أيضًا، وفيه توكيد للاستيقان وزيادة الإيمان.

﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ نفاق ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ والمشركون. فإن قلت: النفاق ظهر في المدينة والسورة مكية، قلت: معناه وليقول المنافقون الذين يظهرون في المستقبل بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة^(١).

(١) ولعل الأولى أن يقال المراد مطلق من في قلوبهم مرض بقطع النظر عن كونه مرض النفاق أو مرض الكفر أو مرض العناد والجحود.

﴿ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لِإِحْدَى الْكُبْرَى ﴿٣٥﴾ ﴾

﴿ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ﴾ أي: أي شيء أراد الله بهذا العدد العجيب؟ وأي معنى أراد في أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين، وعرضهم من هذا السؤال الإنكار أصلاً. ﴿ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ ﴾ ﴿ كَذَلِكَ ﴾ إشارة إلى ما قبله من معنى الإضلال والهدى أي: مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى ﴿ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ ﴾ من عباده، وهو الذي علم منه اختيار الضلال، ﴿ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ وهو الذي علم منه اختيار الاهتداء، ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ ﴾ لكثرتهم ﴿ الْآهَوُ ﴾ فلا يعز عليه إكمال الخزنة عشرين، ولكن له في هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها. ﴿ وَمَا هِيَ ﴾ الضمير يعود على ﴿ سَقَرٌ ﴾ أي: وما سقر وصفتها. ﴿ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ﴾ أي: تذكرة للبشر. ويجوز أن يعود الضمير على الآيات التي ذكرت فيها. ﴿ كَلَّا ﴾ إنكار أن تكون لهم ذكرى؛ لأنهم لا يتذكرون ﴿ وَالْقَمَرِ ﴾ أقسم به لعظم منافعه. ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ﴾ ولَّى وذهب ومضى.

﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴾ أضاء، وجواب القسم: ﴿ إِنَّهَا ﴾ أي: إن سقر ﴿ لِإِحْدَى الْكُبْرَى ﴾ الكُبرى: هي جمع الكبرى، أي: لإحدى البلايا، أو الدواهي العظيمة، ومعنى كونها إحداهن: أنها من بينهنّ واحدة في العظم لا نظير لها كما تقول: هو أحد الرجال وهي إحدى النساء.

﴿ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴾ (٣٦) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّةٍ يَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَأَلَكَمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَوْ نَكُنْ مِنْ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُنْ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَحْوُضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾

﴿ نَذِيرًا ﴾ تمييز من (إحدى)، أي: ﴿ إِنْتَهَا لِأَحَدِي ﴾ الدَّوَاهِي إِنْذَارًا، كقولك: وهي إحدى النساء عفافًا، ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِدَّمَ ﴾ إلى الخير ﴿ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾ عنه، وعن الزجاج: يتقدم إلى ما أمر ويتأخر عما نهي.

نِجَاةُ الْمُؤْمِنِينَ وَعَذَابُ الْمُجْرِمِينَ:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ هي اسم بمعنى الرهن، كالثبينة بمعنى الشتم، كأنه قيل: كل نفس بما كسبت رهن، والمعنى: كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك.

﴿ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴾ أي: إلا المسلمين فإنهم فكوا رقابهم بالطاعة كما يُخْلَصُ الرامن رهنه بأداء الحق. ﴿ فِي جَنَّةٍ ﴾ أي: هم في جنات عظيمة ﴿ يَسَاءَلُونَ ﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ يسأل بعضهم بعضًا عنهم، أو يسألون غيرهم عنهم. ﴿ مَا سَأَلَكَمْ فِي سَقَرٍ ﴾ ما الذي أدخلكم فيها؟!

﴿ قَالُوا لَوْ نَكُنْ مِنْ الْمُصَلِّينَ ﴾ أي: لم نعتقد فرضية الصلاة. ﴿ وَلَمْ نَكُنْ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ ﴾ كما يطعم المسلمون. ﴿ وَكُنَّا نَحْوُضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴾ الخوض: الشروع في الباطل أي: كنا نقول الباطل، والزور في آيات الله.

﴿ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ أي: بالحساب والجزاء.

﴿ حَتَّىٰ آتَانَا الْيَقِينَ ﴾ (٤٧) ﴿ مَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ (٤٨) ﴿ مَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ مُعْرِضِينَ ﴾ (٤٩)
 كَانَهُمْ حُمْرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ ﴿ ٥٠ ﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿ ٥١ ﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِيٍّ مِنْهُمْ أَنْ يُوَفِّيَ صُحُفًا مُّنْشَرَةً ﴿ ٥٢ ﴾

﴿ حَتَّىٰ آتَانَا الْيَقِينَ ﴾ الموت. ﴿ مَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ من الملائكة والنبين والصالحين؛ لأنَّ الشفاعة للمؤمنين دون الكافرين، وفيه دليل ثبوت الشفاعة للمؤمنين.

﴿ مَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ ﴾ عن التذكير وهو العظة أي: القرآن ﴿ مُعْرِضِينَ ﴾ حال من الضمير في ﴿ لَهُمْ ﴾.

﴿ كَانَهُمْ حُمْرٌ ﴾ أي: حمر الوحش، والجملة حال من الضمير في ﴿ مُعْرِضِينَ ﴾، ﴿ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴾ شديدة النفار والفرار، كأنها تطلب الفرار من نفوسها، وقرأ أبو جعفر ونافع، وابن عامر ﴿ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴾ بفتح الفاء على أنها اسم مفعول، أي: استنفرها غيرها.

﴿ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴾ القسورة: الرُّماة أو الأسد، على وزن فَعُولَةٍ من القسر وهو القهر والغلبة، شَبَّهُوا فِي إِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْقُرْآنِ وَاسْتِمَاعِ الذِّكْرِ بِحُمْرٍ جَدَّتْ فِي فِرَارِهَا وَهَرُوبِهَا.

﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِيٍّ مِنْهُمْ أَنْ يُوَفِّيَ صُحُفًا مُّنْشَرَةً ﴾ قراطيس تُنْشَرُ وَتُقْرَأُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: لَنْ نَتَّبِعَكَ حَتَّىٰ تَأْتِيَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا بِكِتَابٍ مِنَ السَّمَاءِ (١).

﴿ كَلَّا ﴾ ردع لهم عن تلك الإرادة، وزجر عن اقتراح الآيات.

(١) كما قال تعالى: ﴿ أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ ذُرْفٍ أَوْ تَرْفٍ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ ﴾ (سورة الإسراء. الآية: ٩٣)

﴿بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ ﴿٥٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ النَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

ثم قال ﴿بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ فلذلك أعرضوا عن التذكرة.

﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ﴾ ردع لهم عن إعراضهم عن التذكرة. ثم قال: إِنَّ الْقُرْآنَ تَذَكْرَةٌ بليغة كافية، ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ أي: فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَذْكُرَهُ وَلَا يَنْسَاهُ فَعَلْ، فَإِنَّ نَفْعَ ذَلِكَ عَائِدٌ إِلَيْهِ.

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ إلا وقت مشيئة الله، أو إلا بمشيئة الله ﴿هُوَ أَهْلُ النَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ هو أهلٌ أَنْ يُنْتَقَى، وأهلٌ أَنْ يَغْفَرَ لِمَنْ اتَّقَاهُ.

من الأسرار البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿وَرَبِّكَ فَكِّرْ ﴿٣﴾ وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ قُدِّمَ المفعول به؛ لإفادة الاختصاص.

- في قوله تعالى: ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ كناية عن الأمر بتطهير النفس مما يستقدر من الأفعال ويستهجَن من الأحوال.

- في قوله تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ مجاز مرسل علاقته المسيبية، عبّر بالرجز، والمراد عبادة الأصنام؛ لَأَنَّهُ مَسَبَّبٌ عَنْهَا.

- الاستفهام في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ﴾ للتحويل والتفخيم.

- الاستفهام في قوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ للتوبيخ ويُشعرُ بَأَنَّ الرِّجْزَ بالمجرمين في سقر، كان بعنف وقهر.

- في قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ﴾ ذكر الخاص بعد العام وهو الخوض بالباطل مع الخائضين؛ لتعظيم هذا الذنب.

- في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ تشبيه تمثيلي؛ حيث شبه المشركين في إعراضهم عن القرآن، بحمر فرّت مما أفرعها، وفي تشبيههم بالحمر: مدّمة ظاهرة.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١ - أمر النبي ﷺ بالإنذار لحكم بالغة منها:

(أ) تعظيم الله ووصفه بأنه أكبر من أن يكون له صاحبة أو ولد، كما يقول عبدة الأوثان.

(ب) تطهير النفس من المعاصي المؤدية إلى العذاب، وتجميلها بمحاسن الأخلاق.

(ج) هجر الأوثان والمآثم التي هي سبب العذاب، ويراد بذلك الأمر المداومة على ذلك الهجران.

(د) الصبر على أداء الفرائض والعبادات، وعلى إيذاء الناس بسبب تبليغ الدين.

٢ - تهديد الكفار الأشقياء بأهوال يوم القيامة.

٣ - خزنة جهنم وزبانياتها التسعة عشر هم من الملائكة، لا من الرجال الذين يمكن مقاومتهم بالتجمع عليهم.

٤ - الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

٥ - تقرير سنة من سنن الله سبحانه في عباده وهي ربط الأسباب بالمسببات،
فَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ بِنَفْسِهِ وَاخْتِيَارِهِ، وَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي بِنَفْسِهِ
وَإِرَادَتِهِ وَاخْتِيَارِهِ.

٦ - جهنم إحدى البليات العظام والدواهي الكبار، وهي إنذار دائم للبشر.

٧ - كل نفس مرتنة يوم القيامة بكسبها، مأخوذة بعملها، إما خلصها وإما
أهلكها، إلا الذين يُعْطُونَ كتبهم بأيامهم، فَإِنَّهُمْ لَا يُرْتَمُونَ بِذُنُوبِهِمْ.

٨ - ترك الصلاة، وترك الصدقة، ومخالطة أهل الباطل في باطلهم، والتكذيب
بيوم القيامة، من أسباب دخول النار يوم القيامة.

مذكرتي
Mozkrty.com

الأسئلة

س ١: ما معنى المدثر؟ وما معنى ﴿فَأَنْذِرْ﴾؟ وما المراد بقوله تعالى: ﴿وَيَأْتِكَ فَطِيرٌ﴾؟ وما الوجه البلاغي فيه؟ وما إعراب قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُنُّنَ تَسْتَكْبِرُ﴾؟.

س ٢: مَنْ المراد بقوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ﴾ وما المعنى؟ وبم كان يلقب في قومه؟ وما إعراب ﴿وَجِدَا﴾؟ وما معنى ﴿مَا لَأَمْمَدُودًا﴾؟ وما الغرض من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾؟

س ٣: ما الذي أفادته ﴿كَلَّا﴾ في قوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا﴾؟ وما الآيات؟ وما معنى ﴿عِينِدَا﴾؟ وما الغرض منه؟ وما معنى ﴿سَارَهُقَّهُ﴾؟.

س ٤: ما معنى قوله تعالى: ﴿لَا بُقْيَا﴾؟ وما معنى ﴿وَلَا نَذْرٌ﴾؟ وما إعراب ﴿لَوْلَا﴾؟ وما المراد بـ ﴿أَصْحَبَ النَّارِ﴾؟.

س ٥: ما المراد بقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَصْحَبَ الْيَمِينِ﴾؟ وما معنى ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾؟ وما أصل الخوض؟ وما الوجه البلاغي في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾؟ وما إعراب ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾؟.

س ٦: اذكر ما يستفاد من السورة الكريمة.

سورة القيامة

(مكية وهي أربعون آية)

﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ۝١ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ۝٢﴾ اِيْحَسْبُ الْإِنْسُنُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ.

﴿بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَيَّ أَنْ سُؤِّي بِنَانِهِ ۝٣﴾

إثبات البعث

﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ عن ابن عباس: أنه أقسم بيوم القيامة، و﴿لَا﴾ صلة، أي: زائدة للتأكيد^(١)، وعليه الجمهور، وعن الفراء: ﴿لَا﴾ لردِّ إنكار المشركين البعث، كأنه قيل: ليس الأمر كما تزعمون، ثم قيل: أقسم بيوم القيامة.

﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾ الجمهور على أنه قسم آخر، وعن الحسن: أقسم بيوم القيامة، ولم يُقسم بالنفس اللوامة، فهي صفة ذم، وعلى القسم صفة مدح.

والنفس اللوامة: النفس النقية التي تلوم على التقصير في التقوى، وجواب القسم محذوف تقديره: لتبعثنَّ، دليله قوله تعالى: ﴿اِيْحَسْبُ الْإِنْسُنُ﴾ أي: الكافر المنكر للبعث ﴿أَلَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ بعد تفرقها ورجوعها رُفَاتًا مختلطًا بالتراب.

﴿بَلَىٰ﴾ أو جبت ما بعد النفي، أي: بلى نجمعها ﴿قَدَرِينَ﴾ حال من الضمير في ﴿يَجْمَعُ﴾ أي: نجمعها قادرين على جمعها وإعادتها كما كانت، ﴿عَلَيَّ أَنْ سُؤِّي بِنَانِهِ﴾ أصابعه، كما كانت في الدنيا بلا نقصان وتفاوت مع صغرها، فكيف بكبار

العظام؟

(١) المراد من الزيادة أي في الإعراب فقط وإلا فإنها تفيد معنى التأكيد ولا ينبغي أن يفهم الزيادة بالمعنى العام لأنها حينئذ تكون عبثًا، والعبث على الله محال.

﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرْ أَمَامَهُ﴾ (٥) ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (٦) ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ﴾ (٧) ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ (٨)
 ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ (٩) ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُوءُ﴾ (١٠) ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ (١١) ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ (١٢)
 ﴿يَبْنُوْنَ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ يَمَّا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ (١٣) ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ (١٤)

﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ﴾ عطف على ﴿يَأْتِيكَ﴾، فيجوز أن يكون مثله استفهاماً
 ﴿لِيَفْجُرْ أَمَامَهُ﴾ ليستمر على فجوره فيما يستقبله من الزمان. ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ﴾ متى ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ سؤالٌ مُتَعَنِّتٌ مُسْتَبَعِدٌ لقيام الساعة.

من أهوال يوم القيامة

﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ﴾ تحيّر فزعاً. ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ ذهب بضوئه، أو غاب من قوله تعالى: ﴿فَحَسَفْنَا بِهِ﴾ (١). ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ أي: جُمِعَ بينهما في الطلوع من المغرب، أو جُمعا في ذهاب الضوء. ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾ الكافر والمؤمن أيضاً من شدة الهول. ﴿يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُوءُ﴾ أي: الفرار من النار. ﴿كَلَّا﴾ ردع عن طلب المفر ﴿لَا وَزَرَ﴾ لا ملجأ. ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ وحده ﴿يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ مستقر العباد، أو موضع قرارهم من جنة أو نار مفوض لمشيئته، مَنْ شاء أدخله الجنة، وَمَنْ شاء أدخله النار. ﴿يَبْنُوْنَ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ﴾ يُجَبَّرُ ﴿يَمَّا قَدَّمَ﴾ مِنْ عَمَلٍ عمله ﴿وَأَخَّرَ﴾ من عمل لم يعملهُ (٢). ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ شاهد، والهاء للمبالغة، كهاء علامة ونسابة، أو الهاء للتأنيث، وأنته؛ لأنه أراد به جوارحه إذ جوارحه، تشهد عليه، أو هو حجة على نفسه، والبصيرة: الحجة، قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (٣)، و﴿بَصِيرَةٌ﴾ مبتدأ مرفوع بالابتداء، وخبره ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ تقدّم عليه، والجملة من المبتدأ والخبر: خبر ﴿الْإِنْسَانِ﴾.

(١) سورة القصص. الآية: ٨١.

(٢) أي سن سنة حسنة فيُعمل بها بعد موته، أو نوى أن يعمل أعمالاً صالحة ثم عاجله الموت وهو على هذه النية الحسنة فإنه يثاب على ذلك.

(٣) سورة الأنعام. الآية: ١٠٤.

﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ (١٥) لَا تُحْرِكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَحْ تُرْبَةً أَنَّهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ كَلَّا لَبَلِّحُونَ الْجَائِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ ﴿

كقولك: زيد على رأسه عمامة. ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ أرخى سُتُورَهُ، والمُعْدَار: الستر، وقيل: ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها ما قُبِلت منه.

حرص النبي ﷺ على حفظ القرآن

﴿لَا تُحْرِكُ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ بالقرآن، وكان ﷺ يأخذ في القراءة قبل فراغ جبريل، كراهة أن يتفَلَّت منه، فقبل له: لا تحرك لسانك بقراءة القرآن ما دام جبريل يقرأ، لتأخذه على عجلة، ولئلا يتفَلت منك^(١). ثم علل النهي عن العجلة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ في صدرك ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ وإثبات قراءته في لسانك كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ (٢). ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ﴾ أي: قرأه عليك جبريل ﴿فَأَنبَحْ تُرْبَةً﴾ أي: قراءته عليك.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ إذا أُشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ مَعَانِيهِ.

الرد على منكري البعث وبيان أحوال الناس يوم القيامة:

﴿كَلَّا﴾ ردع عن إنكار البعث، وأكَّده بقوله: ﴿بَلْ يُحِجُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ أي: بل أنتم يا بني آدم لأنكم خلقتُم من عَجَلٍ، وطَبِيعَتُم عليه تستعجلون في كل شيء، و﴿يُحِجُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ أي: الدنيا وشهواتها. ﴿وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ الدار الآخرة ونعيمها فلا تعملون لها.

(١) أخرجه البخاري.

(٢) سورة طه . الآية: ١١٤ .

﴿وَجْهٌ يُؤْمِدُ نَاصِرَةٌ﴾ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوَجْهٌ يُؤْمِدُ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَنْظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالنَّفْسَ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَى رَبِّكَ يُؤْمِدُ أَلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾

﴿وَجْهٌ﴾ هي وجوه المؤمنين ﴿يُؤْمِدُ نَاصِرَةٌ﴾ حسنة ناعمة.

﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ بلا كيفية ولا جهة ولا ثبوت مسافة^(١).

﴿وَوَجْهٌ يُؤْمِدُ بَاسِرَةٌ﴾ كالحة شديدة العبوسة، وهي وجوه الكفار.

﴿تَنْظُنُّ﴾ تتوقع ﴿أَنْ يُفْعَلَ بِهَا﴾ فعل هو في شدته ﴿فَاقِرَةٌ﴾ داهية تقصم فقار الظَّهْر.

كفى بالموت واعظاً:

﴿كَلَّا﴾ ردع عن إيثار الدنيا على الآخرة، كأنه قيل: ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين أيديكم من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم، وتنتقلون إلى الآجلة التي تبقون فيها مخلدين ﴿إِذْ بَلَغْتَ﴾ أي: الروح، ولم يجز لها ذكر؛ لأنَّ الآية تدل عليها ﴿التَّرَاقِيَ﴾ جمع تُرْقُوة^(٢): وهي ثغرة النَّحْرِ، ولكل إنسان ترقتان عن يمينه وعن شماله.

﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ أي: قال أحد الحاضرين لبعض من معه: أيكم يرقيه ممَّا به؟ ﴿وَظَنَّ﴾ أيقن المحتضر ﴿أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ أنَّ هذا الذي نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة له. ﴿وَالنَّفْسَ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ التوت ساقاه عند موته، وقيل: شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة، على أنَّ الساق مثَلٌ في الشدة.

﴿إِلَى رَبِّكَ يُؤْمِدُ أَلْمَسَاقُ﴾ أي: مساق العباد إلى حيث أمر الله إمَّا إلى الجنة أو إلى النار.

(١) وذلك يكون في الآخرة إن شاء الله.

(٢) التُّرْقُوة عظمة مشرفة بين ثغرة النحر والعاتق، وبلغت الروح التراقي كناية عن مشاركة الموت.

﴿ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴾ (٣١) وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ بِتَمَطُّي ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ
 أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُنْ نَظْفَةً مِّنْ مَّيِّ يَمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ
 فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَعَمَلٌ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

﴿ فَلَا صَدَقَ ﴾ بالرسول والقرآن ﴿ وَلَا صَلَّى ﴾ الإنسان المذكور في قوله: ﴿ أَيْحَسِبُ ﴾
 الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ. ﴿ وَلَكِنْ كَذَبَ ﴾ بالقرآن ﴿ وَتَوَلَّى ﴾ أعرض عن الإيمان. ﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ بِتَمَطُّي ﴾ يتبخر، وأصله يتمطط، أي: يتمدد، وأبدلت الطاء ياء؛
 لاجتماع ثلاثة أحرف متماثلة. ووُصف المتبخر في مشيه بذلك؛ لأنه يمدُّ خطاه
 على سبيل الإعجاب بنفسه، والتباهي بما هو عليه من كفر وضلال.

﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ بمعنى ويل لك، وهو دعاء عليه بالهلاك وسوء العاقبة.
 ﴿ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ كُرِّرَ للتأكيد، كأنه قال: ويل لك فويل لك، ثم ويل لك،
 فويل لك. وقيل: ويل لك يوم الموت، وويل لك في القبر، وويل لك حين البعث،
 وويل لك في النار.

﴿ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾ أَيْحَسِبُ الكافر أن يُتْرَكَ مُهْمَلًا، لا يُؤمر ولا يُنهى
 ولا يُبعث ولا يُجازى.

﴿ أَلَمْ يَكُنْ نَظْفَةً مِّنْ مَّيِّ يَمْنَىٰ ﴾ قرأ بالياء ابنُ عامرٍ وحفص، أي: يُراق المنى في
 الرحم، وقرأ بقية القراء بالتاء (تمنى) أي: النطفة. ﴿ ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً ﴾ أي: صار المنى
 قطعة دم جامد بعد أربعين يومًا.

﴿ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ فخلق الله منه بشرًا سويًا ﴿ فَعَمَلٌ مِنْهُ ﴾ من الإنسان. ﴿ الزَّوْجَيْنِ
 الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴾ أي: الصنفين. ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ أليس الفعل لهذه
 الأشياء بقادر على الإعادة، وكان ﷺ إذا قرأها يقول: سبحانك بلى. والله أعلم.

- الاستفهام في قوله تعالى: ﴿يَسْتَلْ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾؛ لاستبعاد الأمر وإنكاره.

- بين قوله تعالى: ﴿قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ طباق.

- في قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ مقابلة

بين نصارة وجوه المؤمنين، وعبوسة وجوه المجرمين.

- في قوله تعالى: ﴿بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ كناية عن الإشراف على الموت.

- بين قوله تعالى: ﴿صَدَقَ﴾ و﴿كَذَبَ﴾ طباق.

- في قوله تعالى: ﴿وَأَلْفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ كناية عن الشدة.

- في قوله تعالى: ﴿أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ استفهام إنكاري بقصد التوبيخ

Mozkrty.com

والتفريع.

- في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ آهْلِهِ يَتَعَاطَىٰ ﴿٣٢﴾ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ﴾ التفات من الغيبة إلى

الخطاب، تقييداً له وتهجيناً.

- في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَفَرُّ﴾ قُدِّم الخبر ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ على المبتدأ

﴿الْمُسْتَفَرُّ﴾ لإفادة التخصيص.

- في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ﴾ التكرار للمبالغة في التهديد والوعيد، فهو

تهديد بعد تهديد، ووعيد بعد وعيد.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة

١ - إثبات البعث بعد الموت، وحتمية وقوعه.

٢ - العاقل مَنْ اتعظ بيوم القيامة، واستعد له.

٣ - كل إنسان سَيُخَبَّرُ بعمله يوم القيامة، ويُجازى عليه.

٤ - التعجل مذموم، ولو في أمور الدين.

٥ - سبب إنكار المشركين البعث والحساب هو إثارة الدنيا، وترك الاستعداد للآخرة والعمل لها.

٦ - ثبوت رؤية المؤمنين لله عز وجل في الآخرة، وحرمان الفجَّار منها.

٧ - تذكير الناس قاطبة بشدة الحال وصعوبة الأمر عند نزول الموت.

٨ - وَعِيدُ الكافر بالعذاب والهلاك؛ لفساد عقيدته وعمله وخُلُقِه.

Mozkrtiy.com

الأسئلة

س ١: اذكر قول الجمهور في قوله تعالى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾، وما إعراب

قوله تعالى: ﴿قَدِيرِينَ﴾؟

س ٢: ما معنى ﴿بَنَانَهُ﴾؟ وعلام عطف قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ الْإِنْسَانَ﴾؟ وما

معنى: خسف - برق - جمع؟ وما معنى ﴿بَصِيرَةً﴾؟ وما الغرض الذي

أفادته الهاء، وما سبب رفعه؟ وأين خبره؟

س ٣: ما الذي أفاده قوله تعالى: ﴿أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى﴾ (٣٤) ثُمَّ أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى؟ ومن المراد

بالإنسان في قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ﴾؟ وما معنى: علقه - فسوى؟

س ٤: ما السر البلاغي في قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾؟

س ٥: اشرح بإيجاز قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ﴾ (٧) وَحَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ

وَالْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ إِنَّ الْمَقْرُ.

س ٦: اذكر ما يُستفاد من السورة الكريمة.

سورة الإنسان (مكيّة وهي إحدى وثلاثون آية)

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ
مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا
وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾

خُلِقَ الْإِنْسَانُ وَهَادَيْتَهُ السَّبِيلَ

﴿ هَلْ أَتَى ﴾ قد مضى، ﴿ عَلَى الْإِنْسَانِ ﴾ آدم ﷺ ﴿ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ﴾ أربعون سنة مصورًا قبل نفخ الروح فيه ﴿ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ لم يذكر اسمه ولم يُعرف ما يُراد به؛ لأنّه كان طينًا يمر به الزمان، ولو كان غير موجود كما قيل لم يُوصف بأنّه قد أتى عليه حينٌ من الدهر. ومحل قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ النصب على الحال من الإنسان أي: أتى عليه حينٌ من الدهر غير مذكور ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ ﴾ أي ولد آدم، وقيل: الأول ولد آدم أيضًا و ﴿ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ﴾ على هذا مدة لبثه في بطن أمه، إلى أن صار شيئًا مذكورًا بين الناس ﴿ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ نَعَتْ أو بدلٌ منها أي: من نطفة قد امتزج فيها الماءان، و ﴿ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ أي أخلاط متفرقة، وهو لفظٌ مفردٌ غير جمع؛ ولذا وقع صفة للمفرد ﴿ نَّبْتَلِيهِ ﴾ حال أي: خلقناه مبتلين أي: مريدين ابتلاءه بالأمر والنهي، ﴿ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ ذا سمع وبصر. ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ﴾ بيّنا له طريق الهدى بأدلة العقل والسمع، ﴿ إِمَّا شَاكِرًا ﴾ مؤمنًا ﴿ وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ كافرًا حالان من الهاء في ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ ﴾ أي: إن شكر وكفر فقد هديناه السبيل في الحالين، أو حال من السبيل

﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلْسِلًا وَأَعْلَاقًا وَسَعِيرًا ﴾ (٤) ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ (٥) ﴿ عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾

أي: عرفناه السبيل إما سبيلاً شاكرًا وإما سبيلاً كفورًا، ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز.

جزاء الكفار والأبرار يوم القيامة:

ولما ذكر الفريقين أتبعهما بذكر ما أعدَّ لهما فقال: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلْسِلًا ﴾ جمع سلسلة بغير تنوين؛ وهي قراءه حفص وابن كثير وأبو عمرو وحمة، وقرأ غيرهم بالتنوين؛ ليناسب ﴿ وَأَعْلَاقًا وَسَعِيرًا ﴾؛ إذ يجوز صرف غير المنصرف للتناسب عند بعض النحاة ﴿ وَأَعْلَاقًا ﴾ جمع غُلٌّ، وهو الحديدية التي تجمع يد الأسير إلى عنقه ﴿ وَسَعِيرًا ﴾ نارًا موقدة. وقال: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ ﴾ جمع لبرٍّ أو بار، كَرَبٌّ وأرباب، وشاهد وأشهاد، وهم الصادقون في الإيمان، أو الذين لا يؤذون الذرَّ أي: صغار النمل، ولا يضمرون الشرَّ^(١)، ﴿ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ ﴾ خمر، فنفس الخمر تسمى كأسًا، وقيل: الكأس الزجاجية إذا كان فيها خمر ﴿ كَانَتْ مِزَاجُهَا ﴾ ما تمزج به ﴿ كَافُورًا ﴾، ماء كافور وهو اسم عين في الجنة، ماؤها في بياض الكافور، ورائحته وبرده ﴿ عَيْنًا ﴾ بدل من كافورا ﴿ يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾ أي: منها^(٢) أو الباء مزيدة، أي: يشربها أو هو محمول على المعنى أي يلتذُّ بها أو يُروى بها. وإنَّما قال أو لا بحرف ﴿ مِنْ ﴾ وثانيًا بحرف الباء؛ لأنَّ الكأس

(١) المراد أنهم لا يؤذون شيئًا من خلق الله حتى صغار النمل.

(٢) وهذا من باب التضمين حيث ضمن بها معنى منها.

﴿يَفْجِرُونَهَا فَفَجِيرًا﴾ ٦ ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ ٧ ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْهٍ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ ٨ ﴿إِنَّمَا نُنْطِقُكُمْ بِلُجَّةِ اللَّهِ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا نُشْكُرُكُمْ﴾ ٩ ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا﴾

مبتدأ شربهم وأول غايته، وأمّا العين فيها يمزجون شراهم، فكأنه قيل: كأس يشرب عباد الله بها الخمر ﴿يَفْجِرُونَهَا﴾ يفجرونها حيث شاءوا من منازلهم ﴿فَفَجِيرًا﴾ سهلاً لا يمتنع عليهم.

من صفات الأبرار:

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ بما أوجبوا على أنفسهم، وهو جواب عن سؤال مقدر، كأن سائلاً قال: ما لهم يرزقون ذلك؟ والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالمواظبة على أداء الواجبات؛ لأنّ مَنْ وَفَّى بِمَا أَوْجِبَهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ لَوْجَهُ اللَّهِ، كان بما أوجبه الله عليه أوفى ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ﴾ شدائده ﴿مُسْتَطِيرًا﴾ منتشرًا من استطار الفجر أي: انتشر ضوءه ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْهٍ﴾ أي: يطعمون الطعام مع حبهم له، وحاجتهم إليه، أو على حب الله ﴿مَسْكِينًا﴾ فقيرًا عاجزًا عن الاكتساب ﴿وَيَتِيمًا﴾ صغيرًا لا أب له ﴿وَأَسِيرًا﴾ مأسورًا مملوكًا أو غيره.

ثم علّلوا إطعامهم فقالوا: ﴿إِنَّمَا نُنْطِقُكُمْ بِلُجَّةِ اللَّهِ﴾ أي: لطلب ثوابه، أو هو بيان من الله عز وجل عمّا في ضمائرهم؛ لأنّ الله - تعالى - علمه منهم، فأثنى عليهم، وإن لم يقولوا شيئًا ﴿لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً﴾ هدية على ذلك ﴿وَلَا نُشْكُرُكُمْ﴾ ثناء، وهو مصدر كالشكر ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا﴾ أي: إنا لا نريد منكم المكافأة لخوف عقاب الله على طلب المكافأة بالصدقة، أو إنا نخاف من ربنا فتصدق لوجهه

﴿يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِرًا﴾ (١٠) فَوْقَهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَّهْمُ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ ﴿١٤﴾

حتى نأمن من ذلك الخوف ﴿يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِرًا﴾ وصف اليوم بصفة أهله من الأشقياء نحو: نهارك صائم. والقمطير: الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه.

﴿فَوْقَهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ صانهم من شدائده ﴿وَلَقَّهْمُ﴾ أعطاهم، ﴿نَضْرَةً﴾ حُسْنًا في الوجوه ﴿وَسُرُورًا﴾ فرحًا في القلوب ﴿وَجَزَّهْمُ بِمَا صَبَرُوا﴾ بصبرهم على الإيثار. ﴿جَنَّةً﴾ بستانًا فيه مأكُل هنيء ﴿وَحَرِيرًا﴾ ملبسًا بهيأًا ﴿مُتَّكِنِينَ﴾ حال من «هم» في ﴿وَجَزَّهْمُ﴾ ﴿فِيهَا﴾ في الجنة ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ الأسرة جمع الأريكة ﴿لَا يَرُونَ﴾ حال من الضمير المرفوع في ﴿مُتَّكِنِينَ﴾ أي: غير راثين ﴿فِيهَا﴾ في الجنة ﴿شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾؛ لأنه لا شمس فيها ولا زمهرير فظلها دائم وهو أَوْهَا معتدل، لا حَرَّ شمسٍ فيها يحمي، ولا شدة بردٍ تؤذي. فالزمهرير: البرد الشديد، وقيل: القمر. أي: الجنة مضيئة لا يحتاج فيها إلى شمس وقمر ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ قريبة منهم ظلال أشجارها عطفت على جنة أي: وجنة أخرى دانية عليهم ظلها، كأنهم وُعدوا بجنتين؛ لأنهم وُصفوا بالخوف بقوله: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا﴾، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (١). ﴿وَذُلَّتْ﴾ سُخِّرَتْ للقائم والقاعد والمتكى، وهو حال من ﴿وَدَانِيَةً﴾ أي: تدنو ظلها عليهم في حال تذليل قطوفها عليهم، أو معطوفة عليها أي: ودانية عليهم ظلها ومذلة

(١) سورة الرحمن الآية: ٤٦.

﴿قُطُوفُهَا نَذْلِيلًا﴾ (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِثَانِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا

نَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا ﴿١٨﴾

﴿قُطُوفُهَا﴾ ثمارها جمع قُطْف بكسر القاف وسكون الطاء.

﴿نَذْلِيلًا﴾ (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِثَانِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ ﴿١٥﴾ أَي: يدير عليهم خدمهم كؤوس

الشراب. والآنية جمع إناء وهو وعاء الماء ﴿وَأَكْوَابٍ﴾ أي: من فضة جمع كوب

وهو إبريق لا عُرْوَةٌ له ^(١) ﴿كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ «كان» تامة فلا تحتاج إلى خبرها أي:

كونت فكانت قوارير بتكوين الله، وهو نصب على الحال ﴿قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ﴾ أي:

مخلوقة من فضة فهي جامعة لبياض الفضة وحسنها وصفاء القوارير وشفيفها

حيث يرى ما فيها من الشراب من خارجها.

﴿قَدَّرُوهَا نَقْدِيرًا﴾ صفة لـ ﴿قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ﴾ أي: أهل الجنة قَدَّرُوهَا على أشكال

مخصوصة، فجاءت كما قَدَّرُوهَا تكريمة لهم، أو السقاة جعلوها على قدر ري

شاربها فهي ألد لهم وأخف عليهم. وعن مجاهد: لا تفيض ولا تغيض أي: لا

تزيد ولا تنقص.

﴿وَيُسْقَوْنَ﴾ أي: الأبرار ﴿فِيهَا﴾ في الجنة ﴿كَأْسًا﴾ خمراً ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾

زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا ﴿١٦﴾ بدل من ﴿زَنْجَبِيلًا﴾ ﴿فِيهَا﴾ في الجنة ﴿تُسَمَّى﴾ تلك العين

﴿سَلْسِيلًا﴾ سُمِّيت العين زنجبيلًا، لطعم الزنجبيل فيها، والعرب تستلذه

وتستطيعه. و﴿سَلْسِيلًا﴾ لسلاسة انحدارها وسهولة مساغها. قال أبو عبيدة:

ماء سلسبيل أي عذب طيب.

(١) العروة: المقبض أو اليد.

﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثورًا ﴿١١﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ تَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعٌ أَسْوَدٌ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَمَهُمْ رَهْمٌ ﴾

﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ ﴾ غلمان يُنشئهم الله لخدمة المؤمنين، أو ولدان الكفرة يجعلهم الله تعالى خدماً لأهل الجنة ﴿ مُخَلَّدُونَ ﴾ لا يموتون ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ ﴾ لحسنهم وصفاء ألوانهم وانتشارهم في مجالس المؤمنين ﴿ لُؤْلُؤًا مَّنثورًا ﴾ وتخصيص المنثور، لأنه أزين في النظر من المنظوم ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ تَمَّ ﴾ ظرف أي في الجنة وليس لـ ﴿ رَأَيْتَ ﴾ مفعول ظاهرٌ ولا مقدرٌ ليشمل كُلَّ مرئي تقديره: وإذا اكتسبت الرؤية في الجنة ﴿ رَأَيْتَ نَعِيمًا ﴾ كثيراً ﴿ وَمَلَكًا كَبِيرًا ﴾ واسعاً. وقيل: مُلك لا يعقبه هُلك بضم الهاء وسكون اللام أي: هلاك، أو لهم فيها ما يشاؤون أو تسلّم عليهم الملائكة، ويستأذنون في الدخول عليهم ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ بالنصب على أنه حال من الضمير في ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: يطوف ولدانٌ في الجنة على المنعمين فيها ﴿ ثِيَابٌ سُدُسٌ ﴾ أي: ما يعلوهم من ملابسهم ثياب سندس رقيق الديباج^(١).

﴿ خُضْرٌ ﴾ جمع أخضر، ﴿ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾ غليظ، قرأ برفعها حملاً على كونها صفة ﴿ ثِيَابٌ ﴾: نافع وحفص، وقرأ بجرهما: حمزة والكسائي حملاً على ﴿ سُدُسٌ ﴾، ﴿ وَحُلُوعٌ ﴾ عطف على ﴿ وَيَطُوفُ ﴾ ﴿ أَسْوَدٌ مِنْ فِضَّةٍ ﴾، وفي سورة «الملائكة» - أي فاطر -: ﴿ يَحْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسْوَدٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾^(٢). قال ابن المسيب: لا أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أسورة: واحدة من فضة، وأخرى من ذهب، وأخرى من لؤلؤ. ﴿ وَسَقَمَهُمْ رَهْمٌ ﴾ أضيف الفعل إليه تعالى للتشريف والتخصيص.

(١) السندس: مارق من ثياب الحرير، وقيل: مارق من الديباج، والديباج نوع من الحرير المنسوج والاستبرق: ما غلظ من ثياب الحرير.
(٢) سورة فاطر الآية: ٣٣.

﴿شَرَابًا طَهُورًا﴾ ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ

الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾

﴿شَرَابًا طَهُورًا﴾ ليس برِجسٍ كخمر الدنيا، أو لأنه لم يعصر فتمسه الأيدي المتسِّخَّة وتدوسه الأقدام الدنسة يقال لأهل الجنة: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ النعيم ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾ لأعمالكم ﴿وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا﴾ محمودًا مقبولًا مرضيًا عندنا حيث قلتُم للمسكين واليتيم والأسير: لا نريد منكم جزاء ولا شكورًا.

تسليية الرسول ﷺ:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ تكرير الضمير بعد إيقاعه اسمًا لإن، تأكيد على تأكيد لمعنى اختصاص الله بالتنزيل؛ ليستقر في نفس النبي ﷺ أن الله - تعالى - نزل القرآن مفرقًا لحكمة يريد بها الله، ومن الحكمة الأمر بالمصابرة ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ عليك بتبليغ الرسالة، واحتمال الأذية، وتأخير نصرتك على أعدائك من أهل مكة ﴿وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ﴾ من الكفرة، للضجر من تأخير الظفر ﴿ءَاثِمًا﴾ ركبًا لما هو إثم داعيًا لك إليه ﴿أَوْ كَفُورًا﴾ فاعلاً لما هو كفر داعيًا لك إليه؛ لأنهم إما أن يدعوه إلى مساعدتهم على فعل ما هو إثم أو كفر أو غير إثم ولا كفر، فنهى أن يساعدهم على الأولين دون الثالث.

وقيل: الآثم: عتبة بن ربيعة؛ لأنه كان كثير المآثم والفسوق، والكفور: الوليد ابن المغيرة؛ لأنه كان مغاليًا في الكفر والجحود. والظاهر أن المراد كل آثم وكافر أي: لا تطع أحدهما، وإذا نهى عن طاعة أحدهما لا بعينه، فقد نهى عن طاعتها معًا ومتفرقًا. ولو كان العطف بالواو لجاز أن يطيع أحدهما؛ لأنَّ الواو للجمع

﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ، وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾

فيكون منهياً عن طاعتها معاً لا عن طاعة أحدهما، وإذا نهى عن طاعة أحدهما لا بعينه كان عن طاعتها جميعاً أنهى. وقيل: «أو» بمعنى «ولا» أي ولا تطع آتياً ولا كفوراً ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ صلِّ له ﴿بُكْرَةً﴾ صلاة الفجر ﴿وَأَصِيلًا﴾ صلاة الظهر والعصر.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ وبعض الليل، فصل صلاة العشاءين أي: المغرب والعشاء ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ أي: تهجد له جزءاً طويلاً من الليل ثلثيه، أو نصفه، أو ثلثه.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ الكفرة ﴿يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ يؤثرونها على الآخرة، ﴿وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ﴾ أمامهم، أو خلف ظهورهم ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ شديداً لا يعبؤون به، وهو يوم القيامة لأن شدائده تثقل على الكفار ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا﴾ أحكمنا ﴿أَسْرَهُمْ﴾ خلقهم، ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾، أي: إذا شئنا إهلاكهم أهلكناهم وبَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ فِي الْخَلْقَةِ مِمَّنْ يَطِيعُ، ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ السورة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ عظيمة ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ بالتقرب إليه بالطاعة له، واتباع رسوله ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ اتخاذ السبيل إلى الله. ومحل ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ النصب على الظرف أي إلا وقت مشيئة الله، وإنما يشاء الله ذلك ممن علم منه اختياره ذلك.

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ ٣٠ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا

الْبِئْسَ

وقيل: هو لعموم المشيئة في الطاعة والعصيان والكفر، والإيمان فيكون حجة لنا على المعتزلة ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا ﴾ بما يكون منهم من الأحوال ﴿ حَكِيمًا ﴾ مصيبًا في الأقوال والأفعال ﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ وهم المؤمنون ﴿ فِي رَحْمَتِهِ ﴾ جنته؛ لأنَّها برحمته تنال، وهو حجة على المعتزلة؛ لأنهم يقولون قد شاء أن يدخل كلاً في رحمته؛ لأنه شاء إيمان الكل، والله تعالى أخبر أنه يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ، وهو الذي علم منه أنه يختار الهدى، ﴿ وَالظَّالِمِينَ ﴾ الكافرين؛ لأنهم وضعوا العبادة في غير موضعها، ونصب بفعل مضمر، نحو: أُوعد وكافأ، يفسره ﴿ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾.

مذكرتي
Mozkrti.com

من الأسرار البلاغية:

- بين قوله تعالى: ﴿ شَاكِرًا ﴾، و ﴿ كَفُورًا ﴾ طباق.
- في قوله تعالى: ﴿ يَوْمًا عَبُوسًا ﴾ مجاز عقلي، أسند العبوس إلى اليوم من إسناد الشيء إلى زمانه مثل: نهاره صائم.
- بين قوله تعالى: ﴿ شَمْسًا ﴾. و ﴿ زَمَهْرِيرًا ﴾ طباق.
- في قوله تعالى: ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لَوْلَا مَنُورًا ﴾ تشبيه بليغ، أي كاللؤلؤ المنثور.
- في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً ﴾ إيجاز بالحذف، أي يقال لهم: إن هذا.
- في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴾ مجاز عن قبول الطاعة، والثواب الكثير.

- في قوله تعالى: ﴿يَجْئُونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا نَقِيلًا﴾ مقابلة؛ حيث قابل بين المحبة والترك، وبين العاجلة والباقية.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

١- لم يكن الإنسان قبل خلقه بأمر ربه شيئاً معروفاً.

٢- القصد من خلق الإنسان، هو الابتلاء والاختبار، لذا أمده الله تعالى بمفاتيح المعرفة والهداية والعلم، وأعطاه ما يصحُّ معه الابتلاء، وهو السمع والبصر، وهما كنيتان عن الفهم والتمييز.

٣- تنوع الجزاء بعد التكليف والتمكين من الأمور، فمن كفر فله العقاب، ومن شكر فله الثواب.

٤- الأبرار يشربون في الجنة الخمر الممزوجة بالكافور، المختومة بالمسك، المختلطة بعين ماء عذبة في الجنة يشربون منها، وتكون تحت تصرفهم وأمرهم.

٥- من أسباب نعيم الأبرار أمور ثلاثة:

(أ) وفاؤهم بالنذور وأداؤهم ما فرض الله عليهم.

(ب) خوفهم من يوم القيامة.

(ج) إطعامهم الطعام على قلته وحبهم له.

٦- الله يجزي الأبرار بصبرهم على طاعته، وبعدهم عن معصيته جنان الخلد يدخلونها، ويلبسون فيها الحرير.

الأسئلة

س ١: مَنْ المراد بالإنسان؟ وما معنى الحين والدهر؟ ومتى هذا الحين؟ وما معنى ﴿أَمْشَاجٍ﴾؟ وما إعرابه؟ وما إعراب ﴿شَاكِرًا﴾ و ﴿كَفُورًا﴾؟ وما المراد بهما؟

س ٢: مَنْ المراد بالأبرار؟ وما مفرده؟ وما المراد بالكأس وكافورًا؟ وما إعراب ﴿عَيْنًا﴾؟ وما معنى الباء في قوله تعالى: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾؟ وما معنى ﴿يَفْجَرُونَهَا﴾؟ ولم خص النذر بالذِّكْر؟.

س ٣: ما معنى ﴿مُسْتَطِيرًا﴾؟ وما مرجع الضمير في ﴿حِيَهْ﴾؟ وما معنى العبوس؟ وما فائدة ذكر ﴿قَطْرِيًّا﴾ بعده؟ وما معناه؟ وما هي النضرة؟ وما فائدة ذكر ﴿سُرُورًا﴾ بعدها؟

س ٤: ما المراد من نفي رؤية الشمس والزمهرير؟ وما المراد بالزمهرير؟ وما المراد بالقطوف؟ وَمَنْ الذي يطوف بالآنية؟ وما معنى الآنية؟ ولم ذُكرت دون ما فيها؟ وما المراد بالكوب؟

س ٥: ما المراد بحكم ربك؟ وما المراد بذكر اسم ربك؟ ولم خص البكرة والأصيل وبعض الليل بالذكر؟ وما المراد من التسبيح ليلاً؟ وما المراد من الطول؟ وما هو الأسر؟ المذكور في قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾؟ وما معنى ﴿تَذَكُّرَةً﴾؟ وما مفعول ﴿شَاءَ﴾؟.

س٦: ما السر البلاغي في قوله تعالى: ﴿شَاكِرًا﴾ و﴿كَفُورًا﴾، وفي قوله
تعالى: ﴿يَوْمًا عَبُوسًا﴾؟

س٦: اذكر ما يستفاد من السورة الكريمة.

مذكرتي
Mozkrty.com

سورة المرسلات (مكية وهي خمسون آية)

﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَأَلْصَقَتْ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّشْرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَأَلْفَرَقَتْ فَرَقًا ﴿٤﴾
﴿ فَأَلْمَلَقِينَ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُدْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ ﴾

علامات يوم القيامة:

﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَأَلْصَقَتْ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّشْرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَأَلْفَرَقَتْ فَرَقًا ﴿٤﴾
﴿ فَأَلْمَلَقِينَ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُدْرًا أَوْ نُذْرًا ﴾ أقسم سبحانه وتعالى بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره فأسرعن في مضيهن، وبطوائف أخرى من الملائكة نشرن أجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي، أو نشرن الشرائع في الأرض، أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أو حين ففرقن بين الحق والباطل، فألقين ذكراً إلى الأنبياء ﷺ ﴿ عُدْرًا ﴾ للمحقين ﴿ أَوْ نُذْرًا ﴾ للمبطلين.

أو أقسم برياح عذاب أرسلهن فعصفن، وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا ﴾^(١) فألقين ذكراً إما عذراً للذين يعتذرون إلى الله بتوبتهم واستغفارهم إذا رأوا نعمة الله في الغيث ويشكرونها، وإما نذراً للذين لا يشكرون، وينسبون ذلك إلى الأنواء، وجعلن ملقيات للذكر باعتبار السببية. ﴿ عُرْفًا ﴾ حال أي: متتابعة كعرف الفرس يتلو بعضه بعضاً، أو مفعول له أي: أرسلن للإحسان والمعروف. و ﴿ عَصْفًا ﴾ و ﴿ نَشْرًا ﴾ مصدران. ﴿ عُدْرًا أَوْ نُذْرًا ﴾ منصوبان على البدل من ﴿ ذِكْرًا ﴾ أو على المفعول له.

(١) سورة الروم الآية: ٤٨.

﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَفْعٍ ﴾ ٧ ﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ ٨ ﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴾ ٩ ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ ﴾ ١٠ ﴿ وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْنَتْ ﴾ ١١ ﴿ لِأَيِّ يَوْمٍ أُحِلَّت ﴾ ١٢ ﴿ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴾ ١٣ ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴾ ١٤ ﴿ وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ ١٥ ﴿

﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَفْعٍ ﴾ إن الذي توعدونه من مجيء يوم القيامة ﴿ لَوَفْعٍ ﴾ لكائن لا ريب فيه، وهو جواب القسم، ﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ محيت، أو ذهب بنورها، وجواب ﴿ فَإِذَا ﴾ محذوف، والعامل فيها جوابها، وهو وقوع الفصل ونحوه، و﴿ النُّجُومُ ﴾ نائب فاعل لفعل محذوف يفسره ﴿ طُمِسَتْ ﴾. ﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴾ فتحت فكانت أبواباً ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ ﴾ قلعت من أماكنها، ﴿ وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْنَتْ ﴾ أي وُقِّتَتْ، ومعنى توقيت الرسل: تبين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على أمهم ﴿ لِأَيِّ يَوْمٍ أُحِلَّت ﴾ أُخِّرَتْ وأمهلت، والاستفهام فيه لتعظيم ذلك اليوم وتعجيب من هوله، والتأجيل من الأجل، كالتوقيت من الوقت ﴿ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴾ بيان ليوم التأجيل، وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴾ الاستفهام لتعظيم أمر يوم الفصل ﴿ وَبَلِّغْ ﴾ مبتدأ، وإن كان نكرة؛ لأنه في أصله مصدر منصوب سد مسد فعله، ولكنه عُدل به إلى الرفع؛ للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه، ونحوه: ﴿ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ ^(١) ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ ظرف ﴿ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ بذلك اليوم خبره.

(١) سورة الرعد الآية: ٢٤.

﴿ أَلَمْ نُهِكِ الْأُولَىٰ (١٦) ثُمَّ نُنَبِّئُهُمُ الْآخِرِينَ (١٧) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨) وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٩) أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (٢١) إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (٢٣) وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٤) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا (٢٦) ﴾

تهديد الكافرين وتخويفهم:

﴿ أَلَمْ نُهِكِ الْأُولَىٰ ﴾ الأمم الخالية المكذبة ﴿ ثُمَّ نُنَبِّئُهُمُ الْآخِرِينَ ﴾ مستأنف بعد وقف، وهو وعيد لأهل مكة، أي ثم نعمل بأمثالهم من الآخرين مثل ما فعلنا بالأولين؛ لأنهم كذبوا مثل تكذبيهم.

﴿ كَذَلِكَ ﴾ مثل ذلك الفعل الشنيع ﴿ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴾ بكل مَنْ أجرم ﴿ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ بما أوعدنا، ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ وهو النطفة ﴿ فَجَعَلْنَاهُ ﴾ أي: الماء ﴿ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ مستقر يتمكن فيه وهو الرحم، ومحلُّ قوله: ﴿ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ النصب على الحال، أي: مؤخَّر إلى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به، وهو تسعة أشهر، أو ما فوقها أو ما دونها ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴾ فقدَّرنا ذلك تقديرًا فنعم المقدِّرون له نحن، أو فقدَّرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن، والأول أصح ويؤيده قراءة نافع وعلي بالتشديد، وقوله: ﴿ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴾ (١). ﴿ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ بنعمة الفطرة. ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴾ هو من كفت الشيء إذا ضمَّه وجمعه، وهو اسم ما يكفَّت ﴿ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴾ منصوب بفعل مضمر يدل عليه ﴿ كِفَاتًا ﴾ وهو تكفت أي: تكفت ﴿ أَحْيَاءَ ﴾ على ظهرها ﴿ وَأَمْوَاتًا ﴾ في بطنها، والتنكير فيها للتفخيم، أي: تكفت أحياء

(١) سورة عبس الآية: ١٩.

﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوْسِيَ شِمَخَتْ وَأَسْقَيْنَكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَبِلُيُومِذٍ لِّلْمُكْذِبِينَ ﴿٢٨﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكْذِبُونَ ﴿٢٩﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعْبٍ ﴿٣٠﴾ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَكْرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَبِلُيُومِذٍ لِّلْمُكْذِبِينَ ﴿٣٤﴾ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴾

لا يعدون وأمواتا لا يحصرون ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوْسِيَ ﴾ جبلاً ثابتاً ﴿ شِمَخَتْ ﴾ عاليات ﴿ وَأَسْقَيْنَكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴾ عذباً ﴿ وَبِلُيُومِذٍ لِّلْمُكْذِبِينَ ﴾ بهذه النعمة ﴿ أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكْذِبُونَ ﴾ أي: يقال للكافرين يوم القيامة: سيروا إلى النار التي كنتم بها تكذبون ﴿ أَنْطَلِقُوا ﴾ تكرر للتوكيد ﴿ إِلَى ظِلِّ ﴾ دخان جهنم ﴿ ذِي ثَلَاثِ شُعْبٍ ﴾ يتشعب لعظمه ثلاث شعب، وهكذا الدخان العظيم يتفرق ثلاث فرق ﴿ لَا ظَلِيلٍ ﴾ نعت ظل أي لا مظل من حر ذلك اليوم وحر النار ﴿ وَلَا يُغْنِي ﴾ أي: غير مغنٍ لهم ﴿ مِنَ اللَّهَبِ ﴾ من حر اللهب شيئاً ﴿ إِنَّهَا ﴾ أي: النار ﴿ تَرْمِي بِشَكْرٍ ﴾ هو ما تطاير من النار ﴿ كَالْقَصْرِ ﴾ في العظم، وقيل: هو الغليظ من الشجر، الواحدة قَصْرَةٌ ﴿ كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ ﴾ قرأ ابن عامر وأبو عمرو وعاصم غير أبي بكر ﴿ جِمَلَتٌ ﴾ جمع جمل، وقرأ الباقون جمالات على أنه جمع الجمع ﴿ صُفْرٌ ﴾ جمع أصفر أي: سود تضرب إلى الصفرة، وشبه الشرر بالقصر، لعظمه وارتفاعه، وبالجمال للعظم والطول واللون ﴿ وَبِلُيُومِذٍ لِّلْمُكْذِبِينَ ﴾ بأن هذه صفتها.

﴿ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴾ سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه الآية، وعن قوله تعالى:

﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَدِرُونَ ﴾ ٣٦ ﴿ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ ٣٧ ﴿ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْتُمْ وَالْأُولِينَ ﴾ ٣٨ ﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ ﴾ ٣٩ ﴿ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ ٤٠ ﴿ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعِيُونَ ﴾ ٤١ ﴿ وَفَوَازِكَةٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ ٤٢ ﴿ كُلُّوْاْ وَأَشْرَبُواْ هَيْتَاْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ٤٣ ﴿ إِنَّا كَذَّاكُ بَجْرَى الْمَحْسِنِينَ ﴾ ٤٤ ﴿ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ ٤٥ ﴿

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ ^(١) فقال: في ذلك اليوم مواقف في بعضها يختصمون، وفي بعضها لا ينطقون، أو لا ينطقون بما ينفعهم فجعل نطقهم كلاً نطق.

﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ ﴾ في الاعتذار ﴿ فَيَعْتَدِرُونَ ﴾ عطف على ﴿ يُؤْذَنُ ﴾ داخل في حكم النفي أي: لا يكون لهم إذن ولا اعتذار ﴿ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ بهذا اليوم ﴿ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴾ بين المحق والمبطل والمحسن والمسيء بالجزاء ﴿ جَمَعْتُمْ ﴾ يا مكذبي محمد ﴿ وَالْأُولِينَ ﴾ والمكذبين قبلكم ﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ ﴾ حيلة في دفع العذاب ﴿ فَيَكِيدُونَ ﴾ فاحتالوا عليّ بتخليص أنفسكم من العذاب ﴿ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ بالبعث.

﴿ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ ﴾ من عذاب الله ﴿ فِي ظِلَالٍ ﴾ جمع ظل ﴿ وَعِيُونَ ﴾ جارية في الجنة، ﴿ وَفَوَازِكَةٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ أي لذيدة مشتهاة ﴿ كُلُّوْاْ وَأَشْرَبُواْ ﴾ في محل نصب على الحال من ضمير ﴿ الْمُنْفِقِينَ ﴾ في الظرف الذي هو ﴿ ظِلَالٍ ﴾ أي: هم مستقرون في ظلال مقولاً لهم ذلك ﴿ هَيْتَاْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ في الدنيا ﴿ إِنَّا كَذَّاكُ بَجْرَى الْمَحْسِنِينَ ﴾ فأحسنوا العمل تنابوا عليه ﴿ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ بالجنة

﴿كُلُوا وَتَمَنَعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ﴾ (٤٦) ﴿وَيْلٌ لِّيَوْمِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤٧) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ (٤٨) ﴿وَيْلٌ لِّيَوْمِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤٩) ﴿فِي أَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٠) ﴿

﴿كُلُوا وَتَمَنَعُوا﴾ كلام مستأنف خطاب للمكذبين في الدنيا على وجه التهديد كقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾^(١) ﴿قَلِيلًا﴾، لأنّ متاع الدنيا قليل ﴿إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ﴾ كافرون أي: إن كل مجرم يأكل ويتمتع أيامًا قلائل ثم يبقى في الهلاك الدائم ﴿وَيْلٌ لِّيَوْمِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بالنعمة ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا﴾ اخشعوا لله وتواضعوا إليه بقبول وحيه، واتباع دينه واتركوا هذا الاستكبار ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾ لا يخشعون ولا يقبلون ذلك، ويصرون على استكبارهم، أو إذا قيل لهم صلوا لا يصلون ﴿وَيْلٌ لِّيَوْمِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بالأمر والنهي ﴿فِي أَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ بعد القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ أي إن لم يؤمنوا بالقرآن مع أنّه آية مبصرة، ومعجزة باهرة من بين الكتب السماوية، فبأيّ كتاب بعده يؤمنون؟! والله أعلم.

من الأسرار البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿فَالْعَصْفَتِ عَصْفًا﴾ (٢) ﴿وَالنَّشْرَتِ نَشْرًا﴾ (٣) ﴿فَالْفِرْقَتِ فِرْقًا﴾ تأكيد بذكر المصدر لزيادة البيان، وتقوية الكلام.
- بين قوله تعالى: ﴿عَذْرًا أَوْ نَذْرًا﴾ طباق.
- في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ جيء بصيغة الاستفهام، لزيادة تهويل الأمر وتعظيمه والتعجب من هوله.
- بين قوله تعالى: ﴿أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾ طباق.

(١) سورة فصلت الآية: ٤٠.

- في قوله تعالى: ﴿الْمَرْهُمُكَ الْأُولِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿الْمَرْ تَخْلُقَكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ استفهام تقريرى.

- في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَاصِرِ﴾ تشبيه مرسل مجمل لحذف وجه الشبه.

- في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صَفْرٌ﴾ تشبيه مرسل مفصل.

- في قوله تعالى: ﴿أَنْظِلُّوْا إِلَى ظِلِّ ذِي تِلْكَ شَعْبٍ﴾ أسلوب التهكم، سُمِّي العذاب ظلًا تهكمًا وسخريةً بهم.

- في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ مجاز مرسل، أطلق الركوع، وأراد به الصلاة، فهو من قبيل إطلاق البعض وإرادة الكل.

بعض ما يستفاد من السورة الكريمة:

- القسم بالرياح وبالملائكة على أن يوم القيامة والبعث حقٌّ كائن، لا محالة.
- القسم لا يكون إلا بالله عز وجل أو بصفة من صفاته، وأما الحق سبحانه فله أن يقسم بما شاء على ما شاء لما شاء.
- العذاب والحزي لمن كذب بالله وبرسله وبكتبه ويوم الفصل.
- التذكير بعظيم إنعام الله، والتحذير من مغبة كفران النعمة.
- من المقرر الظاهر عقلاً عند البشر أن القادر على الابتداء، قادر على الإعادة من باب أولى.
- بيان كيفية عذاب الكفار في الآخرة.
- النار شديدة الاشتعال كثيفة، متتابعة، سريعة الالتهاب.

٨- من عذاب الكفار مضاعفة حسرتهم، وتزايد غمومهم وهمومهم، فإذا وجدوا ما أعد الله للمتقين من أنواع السعادة والكرامة، تحسروا واغتموا، وكانت حالهم في غاية الذل والهوان والخزي.



الأسئلة

س ١: ما المراد بالمرسلات؟ وما إعراب ﴿عُرْفًا﴾؟ وما معناه؟ وما معنى ﴿فَالْعَصْفَتِ﴾؟ وما موصوفها؟ وما فائدة ﴿عَصْفًا﴾؟ وما المراد بالناشرات؟ وما موصوفها؟ وما مفعولها؟ وما إعراب ﴿ذِكْرًا﴾؟ وما المراد به؟

س ٢: ما معنى طمس النجوم؟ وما العامل في ﴿فَإِذَا﴾؟ وعلام ارتفع النجوم؟ وما المراد بنسف الجبال؟ وما معنى ﴿أَفْنَتِ﴾؟ وما نوع الاستفهام في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾؟ ومن المراد بالأولين؟

س ٣: ما معنى ﴿مَهِينٍ﴾؟ وما المراد بالقرار المكين؟ وما هو القدر المعلوم؟ وما مفعول ﴿فَقَدَرْنَا﴾؟ وما معنى القادرون؟ وما المراد بالظل؟ وما مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي﴾؟

س ٤: لمن الخطاب في قوله تعالى: ﴿جَمَعْنَكُمْ﴾؟ وما المراد من الكيد؟ وما مفعول ﴿فَكِيدُونِ﴾؟ وما المحل الإعرابي لجملة ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾؟ وما معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾؟.

س ٦: ما فائدة التأكيد بذكر المصدر في قوله تعالى: ﴿فَالْعَصْفَتِ عَصْفًا﴾، ﴿وَالنَّشْرَتِ شَرًّا﴾، وما المستفاد من الاستفهام في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾؟

س ٧: اذكر ما يستفاد من السورة الكريمة.

قائمة الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوعات
٣	مقدمة
٤	أهداف الدراسة
٥	سورة الملك مكية وهي ثلاثون آية
٥	مظاهر قدرة الله تعالى
٧	أهمية الكواكب
٧	مصير الكفار
٨	وعد ووعيد
١٠	بعض مظاهر نعم الله على خلقه
١٢	إنكار الكافرين للبعث
١٣	من الأسرار البلاغية
١٤	ما يستفاد من السورة الكريمة
١٧	سورة القلم (مكية وهي اثنتان وخمسون آية)
١٧	نعم الله على نبيه ﷺ
١٨	أخلاق ذميمة عند الكفار
٢٠	قصة أصحاب الجنة
٢٢	لا يستوي المطيع والعاصي
٢٣	إنذار المشركين

تابع قائمة الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوعات
٢٥	أمر الرسول ﷺ بالصبر على قومه.....
٢٧	من الأسرار البلاغية.....
٢٧	بعض ما يستفاد من السورة.....
٣١	سورة الحاقة مكية وهي اثنتان وخمسون آية.....
٣١	تفخيم شأن القيامة وعقاب الكاذبين فيها.....
٣٣	من مشاهد القيامة.....
٣٦	تأكيد صدق الرسول ﷺ.....
٣٨	من الأسرار البلاغية.....
٣٨	بعض ما يستفاد من السورة الكريمة.....
٤٢	سورة المعارج مكية وهي أربع وأربعون آية.....
٤٢	عناد المشركين وجزاؤهم.....
٤٥	طَبَعُ الإنسان وبيان صفات المؤمنين وجزائهم.....
٤٦	من أحوال الكفار.....
٤٨	من الأسرار البلاغية.....
٤٩	بعض ما يستفاد من السورة الكريمة.....
٥١	سورة (نوح) عليه السلام مكية وهي ثمان وعشرون آية.
٥١	إرسال (نوح) عليه السلام إلى قومه.....

تابع قائمة الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوعات
٥٣	من فوائد الاستغفار
٥٥	عصيان قوم نوح وهلاكهم
٥٧	من الأسرار البلاغية
٥٨	بعض ما يستفاد من السورة الكريمة
٦٠	سورة (الجن) (مكيّة وهي ثمان وعشرون آية)
٦٠	إيمان الجنّ بالقرآن
٦١	من أفعال الجن وعقائدهم
٦٣	جزاء المؤمنين والمكذّبين من الجن
٦٥	لا يملك النّفع والضّر إلا الله
٦٧	لا يعلم الغيب إلا الله
٦٨	لطيفة
٦٩	من الأسرار البلاغية
٦٩	بعض ما يستفاد من السورة الكريمة
٧١	سورة المزمّل (مكيّة وهي عشرون آية)
٧١	ثَقُلُ الوحيِّ وشِدَّتُه
٧٣	الله يتولّى رسوله ﷺ
٧٤	من أهوال يوم القيامة

تابع قائمة الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوعات
٧٦	قيام الليل دأب النبي ﷺ
٧٨	من الأسرار البلاغية
٧٩	بعض ما يستفاد من السورة الكريمة
٨١	سورة المدثر (مكية وهي ست وخمسون آية)
٨٢	هول يوم القيامة
٨٢	تهديد ووعيد
٨٦	خزنة جهنم والحكمة من ذكر عددهم
٨٨	نجاة المؤمنين وعذاب المجرمين
٩٠	من الأسرار البلاغية
٩١	بعض ما يستفاد من السورة الكريمة
٩٤	سورة القيامة (مكية وهي أربعون آية)
٩٤	إثبات البعث
٩٥	من أهوال يوم القيامة
٩٦	حرص النبي ﷺ على حفظ القرآن
٩٦	الرد على منكري البعث وبيان أحوال الناس يوم القيامة
٩٧	كفى بالموت واعظاً
٩٩	من الأسرار البلاغية

تابع قائمة الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوعات
١٠٠ بعض ما يستفاد من السورة الكريمة
١٠٢ سورة الإنسان (مكيّة وهي إحدى وثلاثون آية)
١٠٢ خَلَقُ الإنسان وهدايته السبيل
١٠٣ جزاء الكفار والأبرار يوم القيامة
١٠٤ من صفات الأبرار
١٠٨ تسليية الرسول ﷺ
١١٠ الأسرار البلاغية
١١١ ما يستفاد من السورة
١١٤ سورة الرسائل (مكية وهي خمسون آية)
١١٤ علامات يوم القيامة
١١٦ تهديد الكافرين وتخويفهم
١١٩ من الأسرار البلاغية
١٢٠ بعض ما يستفاد من السورة الكريمة